٥٤
تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) السنة الحادية عشرة ـ ١٥ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

اقرأ في هذا العدد . . .

- الرَّوافِض الشِّيعةُ ومواقفهم الشَّنيعة من أهل السُّنة والشَّريعة !!
  أسرة التحرير
- سيرة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ مواقف تربوية ودروس إيمانية
  فضيلة الشيخ محمد بن موسى آل نصر
- ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي
- الولاء والبراء . . والبلاء ! فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي
- الحاسوب وكتب التراث الخطية
  فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان
- الحَرَم : معانية ، دلالاته ، محظوراته سعيد إدريس
- ثبات أهل الإيمان في الفتن
  فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرزاق العبّاد
- مشروعية الدعوة إلى الله خلال العمل الخيري وأهميته
  الشيخ أبو عبدالله المزروعي

الناشر
مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة ٥٤

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

السنة الحادية عشرة — تصدر منتصف كل شهر هجري (وفي كل شهرين مرة مؤقتاً) الناشر (مركز الإمام الألباني للدرسات المنهجية والأبحاث العلمية)

١٥ ذو الحجة ١٤٢٧هـ

أسرة التحرير

رئيس التحرير:

الشيخ/ د. محمد بن موسى آل نصر

مدير التحرير:

الشيخ/ علي بن حسن الحلبي الأثري

الأعضاء:

الشيخ/ سليم بن عيد الهلالي

الشيخ/ مشهور بن حسن آل سلمان

عنوان المراسلة

الأردن

ص.ب (٢٦٩٩) الرمز البريدي (١٣٧١٣).

هاتف: ٣٦١١٢٣٢ - ٥ - ٠٠٩٦٢

فاكس: ٣٦١٠٣٠٦ - ٥ - ٠٠٩٦٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

www.albanicenter.net

البريد الإلكتروني:

albani1421@hotmail.com

ترسل المقالات والاشتراكات باسم رئيس تحرير مجلة الأصالة

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠ فلس)، أوروبا (٤ دولارات)، أمريكا (٥ دولارات).

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (١٠٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٣٠ دولاراً).
- أوروبا (٣٥ دولاراً).
- أمريكا (٥٠ دولاراً).

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين، ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داعٍ على الحق . .

- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

صاحب الامتياز والمالك: (شركة الأصالة للاستشارات الثقافية)

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (١٣٢٨/٣/٤)- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٢٠٣/٢٠٠٢/د).

إنَّ الحَمْدَ لله؛ نَحْمَدُهُ، وَنسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

محتويات العدد

- **فاتحة القول:** الرَّوافِض الشِّيعةُ ومواقفهم الشَّنيعة مِن أهل السُّنَّة والشَّريعة!!

أسرة التحرير ٥

- **تأملات قرآنية:** ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾

فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي ٧

- **تزكية النفوس:** سيرة إبراهيم الخليل -عليه السلام- مواقف تربوية ودروس إيمانية (١)

فضيلة الشيخ محمد بن موسى آل نصر ١١

- **أبحاث عقدية:** الولاء والبراء . . والبلاء!

فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي ١٨

- **محاسن الإسلام:** كمال دين الإسلام وشموليته (٢)

الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ٢١

- **آمال وآلام علمية:** الحاسوب وكتب التراث الخطية

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ٢٥

- **أبحاث حديثية:** تنوير القلوب ببيان نكران لفظة (صلوب) في حديث رقية النملة (٢)

فضيلة الشيخ أكرم بن محمد زيادة ٢٩

- **إلى الأخت المسلمة:** رسالة في التَّحذير مِن التبرج والسَّفور

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٣٣

- **ركن الردود والتعقبات:**

(١) وقفات منهجيّة مع إبراهيم اليماني(!) فيما نسبه للدّعوة السّلفيّة! (١)

محمد بن يوسف خشان ٣٨

(٢): الردود الحسان على من كتب ملاحظات على رسالة (مجمل مسائل الإيمان) (٣)

لافي بن يوسف الشطرات، و محمد بن أحمد المنشاوي ٤٥

. **مصطلح وبيان:** الحَرَم معانيه، دلالاته، محظوراته (١)

سعيد (محمد موسى) حسين إدريس ٥٠

. **كلمات في المنهج:** وجاءت فتنةٌ ..! وهي أشد وأغلظ!!

فضيلة الشيخ هشام بن فهمي العارف ٥٥

. **مواقف إيمانية:** ثبات أهل الإيمان في الفتن

فضيلة الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد ٦١

. **مناهج منحرفة:** التَّصوُّف في ميزان الوحي والفقه (٢)

فضيلة الشيخ سعد الحصين ٦٥

. **في الدعوة إلى الله:** مشروعية الدعوة إلى الله من خلال العمل الخيريّ وأهميته

الشيخ أبو عبدالله المزروعي ٧٠

. **ركن الفتاوى:**

لجنة الفتوى في (مركز الإمام الألباني) ٧٨

. **مسك الختام:** سبيلُ الله... بين الموت والحياة

أسرة التحرير ٨٢

الرَّوافِض الشِّيعةُ ومواقفهم الشَّنيعة مِن أهل السُّنَّة والشَّريعة!!

• بقلم: أسرة التحرير

على كل مسلم سنّي حريص أن يعلمَ ويتذكر ما يُكنُّه الرافضة -منذ بدايتهم وإلى يومنا هذا- مِن حقدٍ، وكُرهٍ، وعداوةٍ لأهل السُّنَّة؛ بدءاً بالصَّحابةِ -رضي الله عنهم- ومَن بعدَهم! وإلى يومنا هذا!! وإلى أن يشاء الله!!!

ولا يزالون يَتوارثون الأحقادَ، ويُرضعونها أبناءهم، ويحتفلون بمواسم مبتدعة منحرفة، يَلْعنون فيها خيار هذه الأمة، بدءاً بالصِّديق والفاروق، ومروراً بالعشَرة المبشرة سوى عليّ -رضي الله عنه-، وأهل البيت، ولم يسلَم منهم أهل بيعة الرضوان، ولا أهل بدر، ولا علماء الإسلام على مر العصور وكرّ الدهور.

وإذا علمنا أن لليهود دوراً أساسياً في تلفيق مذهب التشيّع -تأسيساً- لضرب الإسلام من الداخل وطعنه طعنةً نجلاء قاتلة تنسفه من داخله؛ كما فعلوا بذي النورَيْن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

وكم كان لهم من دور - قاتلهم الله - في إنشاء الجمعيات والحركات المُعادية للإسلام، وقد يتزيا بعضها بعباءة الإسلام، وهي أشدُّ ما تكون حرباً على الإسلام ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

قال سفيان بن عيينة : «مَن فسد مِن علمائنا؛ ففيه شبه باليهود، ومَن فسد مِن عبّادنا؛ ففيه شبه بالنصارى» .

ولقد كان الرافضة -وما يزالون- على مَرِّ التاريخ عوناً لأعداء هذه الأمة عليها، وكان أهل السنة -ولا يزالون- يُؤتَوْن مِن قِبَلِهِم:

فهل نسينا دور عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي (ابن السوداء) الذي ادّعى التشّيع لآل البيت لإذكاء الفتنة بين الصحابة؟!

وهل نسينا دورَ ابنِ العلقمي الرافضي في إطلاع المغول التتار على أنقاب بغداد وتسريحه للجيش الإسلامي وقطعه لأرزاقه حتى أخذ

الجنود يتكففون الناس؛ فكان من الأسباب الرئيسة في استيلاء التتار على بغداد؟!

وهل نسينا دور الرافضة في بلاد الرافدين في سقوط بغداد بأيدي الأمريكان وحلفائهم انتقاماً من حكم حزب البعث اللاديني الموضوعِ ظلماً وزوراً وبهتاناً على أهل السنة في العراق؟!

وهل ذبح السُّنة في العراق كالخِراف على الاسم والهُوية والقبيلة، وحرق مساجدهم، واغتصاب نسائهم، ونهب ممتلكاتهم إلا ثمرةٌ مِن ثمار الحقد الأسود الدفين الذي توارثوه عبر السنين؟!

إن ما يقوم به الرافضة في العراق من تقتيلٍ عرقي لأهل السنة، وما يفعله الرافضة في إيران وفي باكستان، وما قاموا به في أفغانستان مِن إعانة دول الكفر على غزو هذا البلد المسلم لا يقلُّ شأناً عن دورهم -كذلك- في لبنان، فالرافضة ملة واحدة يعادون أهل السنة أشدَّ مِن عدواتهم لليهود، وإن زعموا نصرة القضية الفلسطينية(!) وإن دعموها فبشروط منها -وأهمها-: ولاءُ الفلسطينين للرافضة، وفتح حُسينيَّاتٍ لهم، وإقامةُ مجلس شيعي أعلى في غزة! ونشرُ ثقافة التشّيع بين أهل السنة لتشّييع شعب فلسطين والشعوب العربية كما شيّعوا بعض الشعوب الخليجية، وهكذا يفعلون في كل بلد سني دخلوه؛ يعملون على تشييع أهله لينشروا بينهم عبادة القبور، والقباب، وتأليه أئمتهم.

وإن مما يؤسَف له أن يكون هؤلاء الأدعياء أبطالاً وانصاراً للمستضعفين، ومقاومين لليهود المحتلين بينما تتفرج دول وحكومات سنية -تمتلك العُدَّة والعتاد والمال والرجال- على مذابح الشعوب المسلمة في فلسطين ولبنان والعراق وغيرها حتى غدا هؤلاء الروافضُ في قلوب الدهماء والغوغاء والجهلاء همُ الأبطالَ حقًّا وصدقاً، وهم المعقودَ في نواصيهم الخير، وهم الذين ستعلو الأمة بهم وتنهض من غفوتها وذلها وهوانها، كيف وقد رفع كبارُهم في لبنان شعار الأمة في معركتهم(!!)؟

وويل للأمة إن تصدَّرها هؤلاء اللاعنون لأولِ هذه الأمة وخيرِها، المتآمرون عليها، المكفّرون لسادتها على مر العصور، فهل هو دور يُراد من هؤلاء في المنطقة برُمَّتها لتشيّعها وضربها في عقيدتها من خلال نصر موهوم على أمريكا ودولة يهود؟!

أم هناك صَفَقَات تُدار في الخفاء لتقسيم المنطقة إلى (كونتونات) طائفية لحماية الدولة اليهودية اللقيطة، ونهبها من جديد مِن قِبَل الشيطان الأكبر -كما يسمونها - مقابل تنازلهم عن الخِيار النووي الإيراني ليكونوا شرطيَّ الغرب في المنطقة العربية، وتستبدل بهم بعض الأنظمة التي أكل عليها الدّهر وشرب، وإن غداً لناظره قريب.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

تأملات قرآنية

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

فرَّ: استجابة سريعة: فيها عزيمة .. فيها اهتمام .. فيها بطولة .. فيها إقبال على الله.

قال ﷺ: «ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره».

فر: إرادة جازمة: فيها نعمة تامة.. فيها ثقة كاملة.. فيها رجولة.. فيها اعتزاز بالله.

قال -عز وجل-: ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الفار مِن الله إلى الله: لا يعرف البطء.. لا تتعثر خطاه.. لا تثقله دنياه.. لا يصرف قلبه عن مولاه.

قال -سبحانه-: ﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٤]

الفار إلى الله: ذو همة عالية.. ومقاصد غالية.. وأشواق الهية.. روحه معلق بالملأ الأعلى.

قال ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

الفرار إلى الله: فرار مِن الدنيا إلى الله.. مِن الله إليه.. مِن عقابه إلى جنته.. مِن معصيته إلى طاعته.

الفرار إلى الله: فرار مِن الجهل إلى العلم.. مِن الضيق إلى السعة.. مِن الظلم إلى العدل.. مِن الحزن إلى الطمأنينة.

الفرار إلى الله: فرار مِن شوائب الفتور.. وأماني التسويف.. وزيف التهاون.. وتسويل النفس.. وغرور الشيطان.

قال -جل ثناؤه-: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١٢٠].

الفرار إلى الله: اقتحام لمعاقل الجد بالجزم.. ولمحافل الصبر بالحزم.. ولمراقي الثبات بالعزم.

الفرار إلى الله: رقيّ من ضيق الصدر إلى سعة الإيمان..

مِن ضيق العيش إلى فسحة الأمل..

مِن كآبة الغم إلى أفق الإسلام..

مِن سحائب الأحزان إلى طاعات الرحمن..

مِن حيرة المخاوف إلى رياض القرآن.

الفرار إلى الله: غربة في أنس.. وعزلة في سكينة.. وتجرد من هوى النفس إلى هدى الله.

قال -عزّ من قائل-: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

كن عن همومك معرضاً ... وكِلِ الأمور إلى القضا

وابشر بخير عاجل ... تنسى به ما قد مضى

وربما ضاق المضيق ... وربما اتسع الفضا

الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن معترضا

الله عوَّدك الجميل ... فقس على ما قد مضى

حظوظ النفس تعيق سعيك إلى الله.. فلا تقنع مِن الله بأمل يُسكن إليه دون الله..

ولا يطمئن إلا برضاه عنه.. ولا تقبل عملاً ليس إليه.

فإذا كان الخالق الباري هو الله.. فلم التعلق بغير الله؟!

إذا كان المحيي والمميت هو الله.. فلم الخوف مِن غير الله؟!

إذا كان الرزاق ذو القوة المتين هو الله ... فلم سؤال غير الله؟!

إذا كان الذي يجيب المضطر إذا دعاه هو الله.. فلم الهروب مِن الله لغير الله؟!

إذا كان ملكوت كل شيء بيد الله.. فلم الرضى بغير الله؟!

إذا كان الخلق والأمر لله.. فلم العبودية لغير الله؟!

إذا كان المنعم المتفضل هو الله ..فلم التضرع لغير الله؟!

إذا كان المعز والمذل هو الله ..فلم تداهن غير الله؟!

إذا كان أحكم الحاكمين هو الله.. فلم الحكم بغير ما أنزل الله؟!

إذا كان الله من ورائهم محيط.. فلم لا تفر مِن الله إلى الله؟!

قال مولانا الحق: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

كتب بعض السلف لأخيه كلمات لو نقشها العبد في لوح قلبه يقرؤها على عدد الأنفاس لكان ذلك بعض ما يستحق وهي: «مَن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله مؤنة الدنيا».

قال ﷺ: «من جعل الهموم هماً؛ هم المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به

الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك».

وقال ﷺ: «ومن كانت همه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا، فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له».

قال الإمام الرباني شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية في «الرسالة التبوكية» (ص ٦١-٦٦- بتحقيقي): «لما فصلت عير السفر، واستوطن المسافر دار الغربة، وحيل بينه وبين مألوفاته وعوائده المتعلقة بالوطن ولوازمه، أحدث له ذلك نظراً، فأجال فكره في أهم ما يقطع به منازل سفره إلى الله ، ويُنفق فيه بقية عمره، فأرشده من بيده الرشد إلى أن أهم شيء يقصده إنما هو: الهجرة إلى الله ورسوله، فإنها فرض عين على كل أحد في كل وقت، وأنه لا انفكاك لأحد عن وجوبها، وهي: مطلوب الله ومراده من العباد.

إذ الهجرة هجرتان:

الهجرة الأولى : هجرة بالجسم من بلد إلى بلد ، وهذه أحكامها معلومة وليس المراد الكلام فيها .

والهجرة الثانية: هجرة بالقلب إلى الله ورسوله ، وهذه هي المقصودة هنا.

وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية، وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعة لها .

وهي هجرة تتضمن (مِن) و (إلى):

فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته.

ومِن عبودية غيره إلى عبوديته.

ومِن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه.

ومِن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له.

وهذا بعينه معنى الفرار إليه؛ قال -تعالى-: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠].

والتوحيد المطلوب مِن العبد هو الفرار مِن الله إليه.

وتحت (مِن) و(إلى) في هذا سر عظيم مِن أسرار التوحيد، فإن الفرار إليه سبحانه يتضمن إفراده بالطلب والعبودية ولوازمها، فهو متضمن لتوحيد الإلهية التي اتفقت عليها دعوة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

أمَّا الفرار منه إليه: فهو متضمن لتوحيد الربوبية وإثبات القدر ، وأن كل ما في الكون من المكروه والمحذور الذي يفر منه العبد، فإنما أوجبته مشيئة الله وحده، فإنه ما شاء كان ووجب وجوده بمشيئته، وما لم يشأ لم يكن، وامتنع وجوده لعدم مشيئته، فإذا فر العبد إلى

الله فإنما يفر من شيء إلى شيء وجد بمشيئة الله وقدره، فهو في الحقيقة فار مِن الله إليه.

ومَن تصور هذا حق تصوره فهم معنى قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك»، وقوله: «لا ملجأ ولا منجى منك ألا إليك».

فإنه ليس في الوجود شيء يفر منه ويستعاذ منه ويلتجأ منه إلا هو من الله خلقاً وإبداعاً.

فالفار والمستعيذ : فار مما أوجبه قدر الله، ومشيئته، وخلقه إلى ما تقتضيه، رحمته وبره، ولطفه وإحسانه، ففي الحقيقة هو هارب من الله إليه ومستعيذ بالله منه.

وتصور هذين الأمرين يوجب للعبد انقطاع تعلق قلبه عن غيره بالكلية؛ خوفاً ورجاء ومحبة؛ فإنه إذا علم أن الذي يفر منه ويستعيذ منه إنما هو بمشيئة الله وقدرته وخلقه: لم يبق في قلبه خوف من غير خالقه وموجده، فتضمن ذلك إفراد الله وحده بالخوف والحب والرجاء ، ولو كان فراره مما لم يكن بمشيئة الله وقدرته لكان ذلك موجباً لخوفه منه ، مثل من يفر من مخلوق آخر أقدر منه؛ فإنه في حال فراره من الأول خائف منه حذراً أن لا يكون الثاني يعيذه منه بخلاف ما إذا كان الذي يفر إليه هو الذي قضى وقدر وشاء ما يفر منه ، فانه لا يبقى في القلب التفات إلى غيره بوجه.

فتفطن لهذا السر العجيب في قوله: «أعوذ بك منك»، و: «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك»؛ فإن الناس قد ذكروا في هذا أقوالاً، وقل من تعرض منهم لهذه النكته التي هي لبّ الكلام ومقصوده وبالله التوفيق.

فتأمل كيف عاد الأمر كله إلى الفرار مِن الله إليه، وهو معنى الهجرة إلى الله -تعالى-.

والحمد لله ربّ العالمين.

قال العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي -رحمه الله تعالى-:

«مَن لم يفرَّ إلى الله فقد فرَّ من الله، ومَن فرَّ من الله يدركه لا محالة، فإنه لا يفوته هاربه، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

اللهم اجعلنا ممن فرَّ إليك يا ربَّ العالمين، فآويته ونصرته وأسعدته في دنياه وأُخراه».

[«سبيل الرشاد» (٢/٣٠٢)]

تزكية النفوس

الحلقة الأولى

سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام

مواقف تربوية ودروس إيمانية

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي أنس محمد بن موسى آل نصر

خلق الله الثقلَيْن، وامتنَّ عليهم بِنَعمٍ عُظمى ومِنَن جُلّى، وابتلاهم فكان منهم الحريصُ المثابر، والمقصِّرُ المتواني، فابتلى بعضهم ببعض، وفي ذلك يقول ربنا -جل وعلا-: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]، وفي الحديث القدسي يقول ربنا لنبيه ﷺ: «إنما بعثتك لأبتليَك وابتليَ بك»[1].

ويتجلَّى الابتلاء بالنبي ﷺ: باتباعه في كل ما صَغُر وكَبُر.

ولما كان الأنبياءُ أولادَ عَلاّتٍ؛ دينُهم واحد وأمهاتُهم شتَّى؛ كان في اتباع النبي ﷺ اتباعاً لهم، ولا يكون الاتباع مجرَّداً عن المحبة، وإذا تيقَّن العبد أن الأنبياءَ خيرُ الخليقة، وأهل ولاية الله الحقَّة؛ أيقن بضرورة التأسي بهم، فكيف إذا جاء الأمر صريحاً مِن الله باتباعهم؟ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد قصَّ الله نبأ أنبيائه في كتابه، وخيرُهم أولو العزم مِن الرسل، وخيرُهم الخليلان إبراهيم ومحمد ﷺ، وما قصَّها الله عبثاً: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣].

وحديثُنا عن سيرة إبراهيم الخليل -عليه السلام- ومواقفه وما يستفاد منها من دروس وعِظات؛ إذ هي الغاية، وقبل ذلك كان لا بد من معرفة شيء من فضائله -عليه السلام- حتى يكونَ أبلغَ في التأسي والأثر.

*** فضائله الواردة في الكتاب والسنة كثيرة، ومنها:**

١- أنه إمام الحنفاء الذين تركوا الشرك ومالوا إلى التوحيد:

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣] والأمَّة: هو الذي يُؤَمُّ بالخير.

وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقال على لسان يوسف -عليه السلام-: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

فلم يكن في زمانه على ظهر الأرض مُوحِّدٌ سواه وسوى زوجه سارة.

٢- هو خليل الرحمن:

قال -تعالى-: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال النبي ﷺ: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلاً»[1].

والخُلَّة: هي أعلى درجات المحبة، ولم يحظَ بها سوى إبراهيم ومحمد ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

وقد أنكر هذه الفضيلة له أحد الضلاّل وهو الجعد بن درهم، فضحى به(!) والي خراسان خالد بن عبد الله القَسْري - رحمه الله - وذلكم في يوم عيد الأضحى فخطب خطبتَه ثم نزل، فقال: أيها الناس تقبَّل اللهُ ضحاياكم، أما أُضحيتي: فالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يُكلِّم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيمَ خليلاً؛ فتقدَّم إليه وضحَّى به، فكانت نعمتِ الأضحيةُ بأن يُضحَّى بالمبتدعة والزنادقة والمشركين.

٣- هو أحد أولي العزم مِن الرسل الذين أمر نبينا ﷺ بالصبر كما صبروا، وخيرُهم محمد ﷺ.

قال -جل وعلا-: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وهم أهل العزيمة والصبر مِن أنبياء الله، فنالوا أعلى المراتب وأسمى الدرجات، وعدَّتهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-.

٤- ورد ذكره في خمس وعشرين سورة، بل سمَّى الله سورةً كاملةً مِن سور القرآن باسمه.

٥- اختصه الله بأن جعل في ذريته النبوةَ والكتابَ.

قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد: ٢٦] وإبراهيم من ذرية نوح -عليه السلام-.

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦].

وقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

قيل: إن الضمير يعود إلى نوح لأنه أقرب مذكور[1]، وقيل: بل يعود إلى إبراهيم لأنه

---

(١) قد يعود الضمير إلى أبعد مذكور أحياناً، ومثاله قوله -تعالى-: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ

هو الذي سِيق الكلام لأجله، ويكون ذكر لوط -وهو ابن أخيه- في ذريته كذكر إسماعيل في آباء يعقوب في قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقد أخرج الله من ذريته أفضلَ الأمم وهم: العرب وبنو إسرائيل-وقد استبدلهم الله بالعرب لما غيّروا وبدّلوا وخالفوا منهج الله وقتلوا الأنبياء-، بل أخرج من ذريته خير الخليقة وأشرفَهم وهو محمد ﷺ، وهو دعوة إبراهيم لَمَّا قال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

٦- أثنى الله عليه ووصفه بالأوصاف الشريفة.

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

والأوَّاه: كثير الخشوع والتألُّه.

والمُنيب: الرجَّاع إلى الحق.

والإنابة يُعرِّفها الإمامُ ابن القيم؛فيقول: «الإسراع إلى مرضاة الله مع الرجوع إليه في كل وقت وإخلاص العمل»[1] أو: «هي عكوفُ القلب على الله وعلى محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوفُ الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ﷺ»[2].

ووصَفَه بالإحسان والإيمان، فقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٩-١١١].

وقال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٧] فوصفهم الله بالفقه والبصيرة والعبادة والقوة في ذلك.

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾، فعاد الاستثناء إلى القتل مع أنه أبعد مذكور، لأن أقرب مذكور لا يسوغ عود الاستثناء إليه؛ إذ لا تجوز ولاية الكافر على المسلم بحال.

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٦٧)..

(٢) انظر «الفوائد» (ص ١٩٦).

وقال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، أي: اختصهم بثناء الخلق عليهم.

وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقال: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، فجمع بين النبوة والخُلَّة والصدِّيقيَّة.

٧- قام بما أمر اللهُ به:

قال -جل ثناؤه-: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

٨- ومن فضائله ما ثبت عن النبيِّ ﷺ من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم -عليه السلام-»[1] وهذا من تواضع نبيّنا محمد ﷺ.

٩- بلغ أعلى درجات الإيمان وهو اليقين:

قال ربنا -تقدست أسماؤه-: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وسأل إبراهيمُ ربَّه أن يُريَه كيف يُحْيي الموتى ليصلَ إلى عين اليقين: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٩).

قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فلم يكن إبراهيمُ شاكًّا في قدرة الله -وحاشاه- بل أراد أن يرتقيَ مِن علم اليقين إلى عين اليقين.

١٠ - أمرنا الله باتباع مِلَّته والتأسِّي به.

قال -تعالى-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وهو أمر لأمة محمد ﷺ مُتمثِّل في شخص نبيِّها ﷺ.

وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وكل ما ورد عن إبراهيمَ فعلُه؛ فإنه من شريعةِ محمد ﷺ، إلا استغفارَه لأبيه؛ فلا يجوز الاستغفارُ للمشركين.

١١- يذكره المسلمون كلما صلّوا، والصلاةُ الإبراهيميَّةُ من أركان الصلاة.

١٢- هو أول الخلائق يُكسى يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة: إبراهيمُ -عليه السلام-»[1].

والناس في ذلك اليوم يكونون حُفاةً عُراةً غُرْلاً.

١٣- اختصَّه الله وإسماعيلَ ببناءِ بيته الحرام الذي هو أشرفُ بيت، وتطهيرِه للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود.

قال -تبارك وتعاظم-: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٥) ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وقال: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

فلما بلغ إسماعيلُ أشدَّه وأصبح رجلاً جاء أبوه -وكانت المرَّةَ الثانيةَ - وقال: يا بني إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً للعابدين إلى يوم القيامة، فقال له: سأعينُك على ذلك.

فكان إبراهيم يبني واسماعيل يأتيهِ بالحجارة، فلما تم بناؤه أذّن في الناس بالحج .

١٤ - أمرَنا الله باتخاذ مقامه مصلى بعد كل طواف بالبيت، وهو الموضع الذي وقف عليه لبناء البيت .

قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] ، وفي قراءة نافع: ﴿واتَّخَذُوا﴾ بلفظ الخبر.

١٥ – وهبه اللهُ إسماعيلَ وإسحاقَ وهو شيخ كبير .

قال -جل وعلا-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقال: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩] .

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

فلا ينبغي لمن تأخر انجابُه أنْ ييأسَ مِن رحمة الله، وعليه أن يُكثرَ مِن الدعاء وأن يُكثرَ مِن الاستغفار، فالذي رزق إبراهيم وزكريا على الكِبَر قادر أن يرزقه.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]

وللبحث بقية ...

أبحاث عقدية

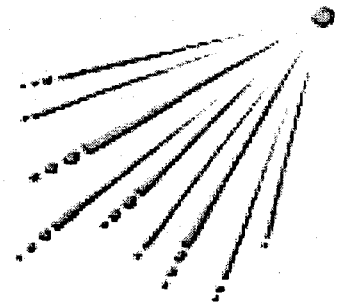

الولاء والبراء.. والبلاء!

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي الحارث علي بن حسن الحلبي الأثري

عقيدةُ (الولاء والبراء) بالنّسبة للعبد الصالح بمثابةِ الميزان الذي يضبطُ به إيمانَه، وأعمالَه، وتقواه؛ إذ يكونُ -بها- مُتَوَلِّياً صالحي المُؤمنين، ومُتَبَرِّئاً مِن فعائل المُبْتَدعين والفاسقين والكافرين -كُلٌّ بِحَسَبِه-.

كلُّ ذلك -منه- تحقيقاً لقول النبيِّ ﷺ: «أوثق عُرى الإيمان: المُوالاةُ في الله، والمُعاداةُ في الله، والحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله»، وقوله ﷺ: «مَن أحبَّ لله، وكَرِهَ لله، وأعطى لله، ومنعَ لله: فقد استكمل الإيمان».

ولا يزالُ أهلُ العلمِ والدِّين والصَّلاح قائمين بهذه العقيدةِ الحقَّةِ، محفوفةً بالرحمةِ والشفقةِ؛ فمقصودُها الأوّلُ والأخيرُ إصلاحُ النَّفسِ وإصلاحُ الآخرين؛ كما كان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «أهل السنَّة أعرفُ النّاس بالحقّ، وأرحمُهم بالخلق».

ولكنَّ ثَمَّةَ مُكَدِّراتٍ عِدَّةً -مِن غُلُوٍّ، أو تقصيرٍ، أو خلطٍ- تُفسِدُ على جوانبَ مِن هذه العقيدة الحقَّةِ نقاءَها، وصفاءَها؛ مِن خلالِ مُمارساتٍ فرديَّةٍ -أو جماعيَّةٍ- فاسدةِ النهج، مُختلَّةِ التصوُّرِ -قد تقِلُّ أو تكثُرُ-!

وقد يكون مِن الصعبِ جدّاً حَصْرُ تلكم المُمارسات -جميعاً-، وإلقاءُ الضَّوْءِ عليها للتنبيهِ عليها -كُلِّها-، والتَّحذيرِ منها؛ لكنْ: لا بدَّ ممَّا لا بُدَّ منه -ولو على سبيل التمثيل-:

فأوّلُ هاتيك الممارسات الشّنيعة -التي تحملُ بين جَنَباتها بلاءً مُضاعَفاً-: صنيعُ بعض الجماعات الحزبيَّة الإسلاميّة؛ التي تتخيَّل نَفسَها -تصوُّراً وواقعاً- (جماعةَ المسلمين)، بدلاً مِن (جماعة [من] المسلمين)؛ فَيُنْتِجُ هذا الخللُ الفِكريُّ هَرَماً لا حَدَّ له مِن التّشرذُم، والتّمحوُر، والبلاء الذي ما بعده بلاء -مما تتقطَّع به المودّات، وتنفصم به العُرى الوثيقات، وتذوبُ له الحقائق والمسلَّمات-...

وهذا الخَلَلُ الجماعيُّ ينعكسُ -بداهةً- على الأفراد الذين يعيشون هذا التّصوُّر، ويَحْيَوْن هذا الاختلال؛ فانظر كم سيكون لهم مِن نصيبٍ في تلكم الممارسات الظالمة المظلمة!

وكم سيكون -بعد ذا- مِن خَطَر الخَبْط وخَلَل الخَلْط بين (الفردِ) و (الجماعةِ)! وبين (جماعةٍ)، و (الجماعةِ)؟!

ومِن صُور (الولاء والبراء) -الفرديَّة- ذات البلاء:

صُورةُ ذلك المبتدع المنحرف -الجاهل-، الذي يرى نفسَه -في غُلُوِّه- فوقَ الآخرين ممَّن ليسوا على فِكره ورأيِه؛ فتراه يُعْرِض عنهم، ولا يُسلِّمُ عليهم، بل إذا سلَّموا عليه: تغافل وتغاضى!! ونأى بجانبِهِ!!!

وهو -والله- أحقُّ بها وأهلُها، لكنَّ رحمةَ أهلِ السُّنّة أوسعُ مِن حَنَقِ أهل البدعة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾!!

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾..

ومِن صُور (الولاء والبراءِ) -الفرديَّة- ذات البلاء -أيضاً-:

صُورةُ ذلك المُدَّعي الذي يظنُّ نفسَه على شيءٍ وليس هو على شيءٍ، وهذا -هكذا- يكادُ يكون أمراً طبيعيّاً لا يرتدُّ إلا على شخصهِ، ولا ينعكس إلى على ذاتهِ؛ لكنَّ مَكْمَن البلاء في هذا الشخص وفعائلهِ: اختلالُ موازينِهِ -إن وُجدت!- في مِقياس ضوابط (الولاء والبراء) الشرعيَّة، ومُمارساتهِ لها؛ ففي الوقت الذي نراه فيه حَمَلاً وديعاً بين يَدَي بعض المُتَمَشْيخَةِ الغارقين في الانحراف الاعتقاديِّ والمنهجيِّ والفِكريِّ: نراه أسداً هَصُوراً (!) أمامَ مَن مسَّ جَنَابَ شخصهِ، أو جانباً من ذاتهِ!!

ولو أنَّ هذا النَّفَرَ -الظالمَ لنفسهِ- انْطَلَقَ في تناقُضهِ هذا مِن داخل شخصيَّته، ونَبَعَتْ تصرُّفاتُهُ -سُلُوكيًّا- مِن مأزقهِ الذهنيِّ: لَهَانَ الأمرُ على شِدَّته، وسَهُلَ الخَطْبُ على حِدّتِهِ!!

لكنَّ الطامَّةَ الدهياء، والبليَّةَ العمياء: أنّه يسكُتُ -مُنْبكِماً- عن إطلاق أيِّ اسم على تراميهِ الظلوم بين يدي أولئك المنحرفين -ذاك-، في الوقت الذي يُسارعُ فيه -بغير خشيةٍ ولا ورعٍ- ولا نقول: علم!- مُسَمِّياً انعكاساتهِ الشخصيَّةَ الفرديّةَ الظالمةَ: (ولاءً وبراءً) في ذات الله . . .

وهي -والله- الذي لا يُخْلَفُ بغيره- ظُلُمات (الأنا!)، وأباطيل النفس الصغيرة الحقيرة -التي لم تُميِّز- في كثيرٍ مِن الأمور- بين الحقِّ والباطل، بين الهوى والهدى- . . .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾.

فمتى سيكون لنا -نحن المسلمين- على اختلاف مواقِفِنا ومواقعِنا، وبمختلف توجُّهاتِنا ومدارِكِنا- اعتبارٌ شرعيٌّ حَقٌّ لقاعدة (الولاء والبراء) -الحقَّة-؛ لِنَنْزِعَ عنها ما عَلِقَ بها مِن مُكَدِّرات الصفاء، وجالبات (البلاء)؟!!

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

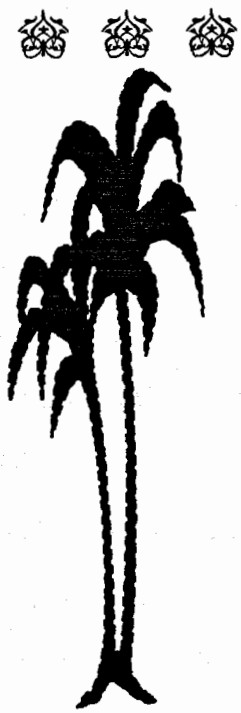

محاسن الإسلام

الحلقة الثانية

كمال دين الإسلام وشموليّته

بقلم: الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-

وأمّا المسألة الخامسة -التي هي أحوال الاجتماع بين المجتمع-: فقد شفى فيها القرآن الغليل، وأنار فيها السبيل، فانظر إلى ما يأمرُ الرئيسَ الكبيرَ أن يفعلَه مع مجتمعه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥]، ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وانظر إلى ما يأمرُ المجتمع العامَّ أن يفعلَه مع رؤسائه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وانظر إلى ما يأمرُ الإنسانَ أن يفعلَه مع مجتمعِه الخاصِّ كأولاده وأزواجه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وانظر كيف ينبِّهُهُ على الحذر والحزم من مجتمعه الخاصِّ، ويأمره -إن عثر على ما لا ينبغي- أن يعفوَ ويصفحَ، فيأمره أولاً بالحزم والحذر، وثانياً بالعفو والصفح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤].

وانظر إلى ما يأمرُ أفرادَ المجتمعِ العامِّ أن يتعاملوا به فيما بينهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، وقال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ [الحجرات:١٢]، وقال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الحجرات:١١].

وقال -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠]، ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:٣٨]، إلى غير ذلك.

ولمّا كان المجتمع لا يَسْلَمُ فرد من أفراده -كائناً من كان- من مناوئ يناوئه ومعادٍ يُعاديه من مجتمعه الإنسي والجني:

ليس يخلو المرءُ من ضدٍّ ولو
حاول العُزلَة في رأسِ الجبل

وكان كل فرد محتاجاً إلى علاج هذا الداء الذي عمّت به البلوى: أوضح -تعالى- علاجه في ثلاثة مواضع في كتابه، بيّن فيها أنّ علاج مناوأة الإنسي هي الإعراضُ عن إساءته ومقابلتُها بالإحسان، وإنّ شيطان الجن لا علاج لدائه إلا الاستعاذةُ بالله من شره.

الموضع الأول: قوله -تعالى- في أُخريات (الأعراف) في الإنسي: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وفي نظيره من شياطين الجن: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

الموضع الثاني في (سورة المؤمنون) قال فيها في الإنسي: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦]، وفي نظيره الآخر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

الموضع الثالث في (فصلت)، وقد زاد فيه -تعالى- التصريحَ بأنّ ذلك العلاجَ السماويَّ يقطع ذلك الداءَ الشيطانيَّ، وزاد فيه -أيضاً-

أنّ هذا العلاج السماوي لا يُعطى لكلّ الناس؛ بل لا يُعطاه إلا صاحبُ النصيب الأوفر والحظُّ الأكبر، قال فيه في الإنسي: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥]، وقال في نظيره الآخر: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦]، وبيّن في مواضعَ أُخَرَ أنّ ذلك الرفق واللين لخصوص المسلمين دون الكافرين، قال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤].

وقال -تعالى-: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التحريم:٩]، فالشدّةُ في محل اللين حمقٌ وخَرْقٌ، واللينُ في محل الشدّة ضعفٌ وَخَورٌ: إذا قيل: حِلْمٌ؛ قل: فللحلمِ موضعٌ

وحِلمُ الفتى في غير موضعِه جهلُ

وأمّا المسألة السادسة -التي هي مسألة الاقتصاد-: فقد أوضح القرآنُ أصولَها التي يُرجع إليها جميع الفروع، وذلك أنّ مسائل الاقتصاد راجعة إلى أصلَيْن:

الأول: حسن النظر في اكتساب المال.

الثاني: حسن النظر في صرفه في مصارفه.

فانظر كيف فتح اللهُ في كتابه الطرقَ إلى اكتساب المال بالأسباب المناسبة للمروءة، والدين، وأنار السبيلَ في ذلك، قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠]، وقال: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٨]، وقال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقال: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [الأنفال:٦٩]، إلى غير ذلك.

وانظر كيف يأمرُ بالاقتصادِ في الصرف: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]،

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآية [البقرة:٢١٩]، وانظر كيف ينهى عن الصرف فيما لا يحلُّ الصرفُ فيه: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [سورة الأنفال:٣٦].

وأمّا **المسألة السابعة** -التي هي السياسة-: فقد بيّن القرآنُ أصولَها، وأنار معالمَها، وأوضح طُرُقَها، وذلك أنّ السياسة -التي هي مصدر (ساسَ يسوسُ) إذا دبَّرَ الأمورَ وأدارَ الشؤونَ- تنقسم إلى قسمَيْن: خارجيّة وداخليّة.

أمّا الخارجيّة فمدارُها على أصلَيْن:

أحدهما: إعدادُ القوة الكافية لقمع العدو والقضاء عليه، وقد قال -تعالى- في هذا الأصل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الثاني: الوحدةُ الصحيحة الشاملة حول تلك القوّة، وقد قال -تعالى- في ذلك: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد أوضح القرآنُ ما يتبع ذلك من الصُّلح، والهُدنة، ونبذ العهود إذا اقتضى الأمر ذلك؛ قال: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤]، وقال: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]، وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ الآية [الأنفال: ٥٨]، وقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، وأمر بالحذر والتحرّز من مكائدهم وانتهازهم الفرص، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ الآية [النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] الآية، ونحو ذلك من الآيات.

وأمّا السياسة الداخليّة: فمسائلها راجعة إلى نشر الأمن والطمأنينة داخل المجتمع، وكفِّ المظالم، وردِّ الحقوق إلى أهلها، والجواهرُ العِظام التي عليها مدار السياسة الداخليّة ستة...

وللبحث بقية...

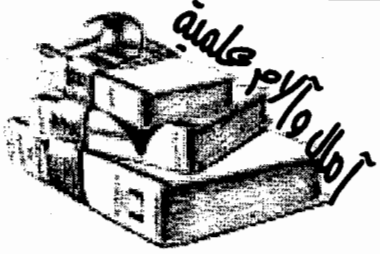

الحاسوب وكتب التراث الخطية

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

إن العنايةَ بتراث علمائنا السابقين، بحفظ أصول كتبهم الخطية من الواجبات الكفائية، ويشمل ذلك إيقافَ طلبة العلم النبهاء عليها، واستخدامَ الوسائل العصرية التي تُوسِّعُ النطاقَ، وتُذلِّلُ العقباتِ، مثل: الأقراص الحاسوبية، والبرامج الحديثية الحديثة التي تُعينُ على الوقوف على المعلومات بأسرع وقت، وعلى وجه فيه دقّة!

والذي أقترحه في هذا الميدان على من يَسَّرَ اللهُ له الجمعَ بين (الأصالة) و (المعاصرة) أموراً:

أولاً: في حالة تحقيق الكتاب التراثي تُرفقُ صورُ المخطوطاتِ (النسخ المعتمدة) في قرص مع الكتاب المطبوع.

ثانياً: العنايةُ القوية بجمع عدد كبير من المخطوطات، ووضعها على أقراص، على وجه فيه تتبُّع، ومحاولة التأنُّق في الجمع، والعنايةُ بالنسخ المهمة.

ثالثاً: ضمُّ النظير إلى النظير في الجمع المذكور، بحيث تكون مخطوطات كل فن على حدة، ويُبدأ بالكتب الجذرية في كل علم، ويُنتهى بالأجزاء والكتب المتخصصة في المسائل المفردة، ومحاولة رسم جداول توضح طريقة الترتيب.

رابعاً: صنعُ برامجَ بحثٍ تفصيليةً تُعنى بالمؤلِّف، واسم المخطوط، والتعريف به، ويشمل: تأريخَ نسخه، واسمَ الناسخ، ومصدرَ المخطوط (اسم المكتبة المحفوظ بها) وملاحظاتٍ عن المخطوط من حيث:

١- التمامُ والنقصُ.

٢- هل سبق نشر الكتاب بالاعتماد على هذا المخطوط أم لا ؟

٣- عيوبُه من حيث النقص أو الطمس أو أكل الأرَضَة له أو إصابته برطوبة وغير ذلك.

٤- التعريفُ برواية النسخة والسماعات وأسماء أصحابها وخطوطهم، لتكون رديفاً لمعرفة جوانب من ترجمة لبعض المجهولين أو الحصول على زيادة معلومات عن تراجمَ مقتضبةٍ أو غيرِ وافيةٍ في الكتب المطبوعة.

٥- إثباتُ أسماء أصحاب التملُّكات على النسخة الخطية.

٦- إثباتُ ما على المخطوط من معلومات لا صلة لها -مباشرة- بمادته الأصلية، وغالباً ما تكون هذه المواد على الطُّرة أو في آخر المخطوط.

٧- إبرازُ أخطاء المُفهرِسين والمُعرِّفين بالمخطوط -وما أكثرها!- لمحاولة الوصول إلى فهارسَ علميةٍ دقيقةٍ.

٨- محاولةُ جمع موادَّ موثّقةٍ عن انتقالِ والمخطوطِ الواحدِ في أكثر من مكتبة، وطريقة ذلك: هل هو الشراء، أو النهب والاختلاس، وإبراز ضرورة المناداة بإرجاع المخطوطات المسروقة إلى مصادرها، والأخذ على أيدي الناهبين والمختلسين من النابهين والأمناء والحريصين والغيورين على أمتنا وتراثها ودينها وهُويتها.

خامساً: محاولةُ إدخال الطرق الحديثة في تصوير المخطوطات في البلاد المسلمة المحتلة، وحفظها في أكثر من مكان بدعم الوسائل المُعِينة على ذلك.

سادساً: محاولةُ فهرسة المخطوطات في البلاد النائية أو الفقيرة، وأخذ مصورات عنها، وجعلها بين يدي طلبة العلم.

سابعاً: إصدارُ نشرات دورية تعنى بالتعريف بدور الكتب الخطية وفهرسها، وتعريبُ الفهارس التي نُشرت بغير العربية، ومحاولةُ حصر نسخ الكتب المهمة التي لم تُنشر، أو الكتب المطبوعة والتي اعتمد في تحقيقها على نسخ متأخرة أو ناقصة، ومحاولةُ حصر الكتب التي نشرت في الدوريات، وإعدادُ قوائمَ (بيلوغرافية) للمقالات التي فيها تصحيح وتصويب للكتب، والإيقاف على الوسائل التي يمكن من خلالها تجميع الكتب المفقودة، وإظهار سرقة المخطوطات، وفضائح المتاجرين بها وتعريتهم للرأي العام، وتسليطُ الأضواء على مخطوطات البلاد القلقة.

ثامناً: نشرُ المخطوطات المهمة النادرة المتميزة بالدّقة والجودة لكتب جذرية يحتاجها الباحثون في سلسلة متتابعة من المجلدات.

تاسعاً: اقتناءُ الطبعات الأوروبية القديمة وغيرها من النوادر لكتب تراثنا وإعادة نشرها عن طريق التصوير بـ(الأوفست) بكميات مدروسة ليتسنى للباحثين الوقوف عليها بيُسر وسهولة.

عاشراً: إصدارُ كتاب يضمُّ خطوطَ العلماء، والتعريف بالناسخين المجودين المكثرين (الجنود المجاهيل) -وعمل بعضهم آنذاك عمل دور النشر الآن- ومصادرَ ترجمتهم، والعنايةَ الخاصةَ بجهدهم في النسخ، ووصفَ مقدار دقتهم وخطوطهم.

حادي عشر: إظهارُ طرق التحقيق العلميّة الدقيقة ببرنامج مختصٍّ، والاستعانة بلوائح وبيانات كل خطوة من خطوات التحقيق، مع العناية بدقة فرسان هذا الميدان، والتعريف بهم، وإبراز جهودهم وحرصهم وشدة عنايتهم.

ثاني عشر: تقويمُ طبعات الكتب التي تمتلئ بها الرفوف، وتقذفها المطابع، والتحذير من الانزلاقات والانحرافات، ومحاولةُ حصرها، مع التمثيل عليها، والتوصية بكشف ألاعيب التجار، وطرق المندسِّين من الفرق المنحرفة والمبشرين والمستشرقين (اليهود الجدد)، ببترهم وتحريفهم النصوصَ، مع الاستعانة بـ (التصوير الضوئي) بإبراز الأصل المعتمد لبيان تقصُّد الحذف أو التزوير.

ثالث عشر: محاولةُ إحياء القوانين المندثرة (غير المعمول بها) والتي فيها حماية لتراثنا، أو سنُّ قوانينَ جديدة من أجل ملاحقة العابثين بالتراث أو المضيعين له.

رابع عشر: إيجادُ سبل لمعرفة المخطوطات المجهولة، سواء العنوان أو المؤلف أو الناسخ، وأُمثِّل على الأخير بالآتي:

إعداد برنامج يحتوي على ما يلي:

١- حصرُ أكبر عدد من خطوط العلماء والنُّسَّاخ المعروفين -السابق ذكرهم في (عاشراً)-.

٢- إعدادُ برمجةٍ للتعرُّف على الخط وربطه باسم صاحبه، ومراعاةُ إدخال نماذج منه تحوي جميع الحروف، وتكون فيه كلمات متكررة، مثل: الديباجة، والخاتمة، إذ غالباً ما تحتوي على البسملة والحمدلة والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٣- من خلال البرنامج المُعَدّ يُعرَض المخطوط المجهولُ ناسخُه على جميع الخطوط الموجودة فيه، ومحاولة التعرُّف على صاحبه.

من المعلوم أن إدخال أكبر عدد من نماذج الخطوط، والدقة في ذلك، يعطي نتائجَ مهمةً في محاولة تقدير عمر المخطوط أيضاً، وبيان ناسخه.

ومن المعلوم -أيضاً- أن الوقوف على النسخة الخطية من الكتاب كان أكبرَ معين في تقدير عمره، والوقوف على محاسنه ومساوئه، وما ذكرناه آنفاً هو بديل جيد عن ذلك، ولاسيما مع عدم توفُّر عين الأصل، أو صعوبة الوقوف عليه حالَ وجوده.

خامس عشر: محاولةُ حصر المكتبات الخطية (الشخصية) وفهرستها في سائر أنحاء العالم.

سادس عشر: إجراءُ مقابلات مع تجار الكتب القديمة والمخطوطات، وذكر نوادرهم وتوصياتهم.

سابع عشر: التواصلُ والتواصي مع الأثرياء والأغنياء والكبراء ومن هم في موقع المسؤولية لدعم ما تقدّم، ومحاولة إبرازه أو بعضه للوجود، وإنشاء مكتبات عامة مشرَّعة الأبواب للباحثين والمطلعين، وتوفير المصادر التراثية، والمخطوطات الأصلية والمصورة، وحفظها على (الميكروفيلم) و (الأقراص) وتجهيزها بقرائات وطابعات على وجه يفي بالحجم المطلوب.

ثامن عشر: عقدُ دورات متخصِّصة لكيفية التحقيق وضبط النص، وتخريج الحديث، وطرق التوثيق، والتعريف بالمراجع وطريقة استعمالها.

تاسع عشر: تبنِّي كتبٍ تراثيةٍ مطوَّلَةٍ مهمة، وتوزيعها على الباحثين، ودعم طباعتها لوصولها إلى الباحث بسعرٍ مناسب، وطريقةٍ مناسبة.

العشرون: إعدادُ برنامج حاسوبي يحتوي على جميع المخطوطات، وأماكن وجودها ووصفها، مع محاولة تمييز المطبوع منها من المخطوط.

هذه آلامٌ وآمالٌ، تراودني وتهاودني وتعاودني بين الفينة والفينة في مسيرتي العلمية، في وقت صفائي وكدري، وراحتي وتعبي، وخلوتي وجلوتي، فجاءتني واستمكنت بي وألحت عليَّ بمسك اليراع وخط هذه الحروف في القرطاس من باب: معذرةً إلى الله، وتحريك الهمة في قلوب الأبرار من أهل الغَيْرة على دينهم وتراثهم المحبين للعلماء الأطهار المنتمين لأمة محمد المختار ﷺ ما تعاقب الليل والنهار، عسى أن تبدأ المسيرةُ ولو بالدعاء الصالح، ليتحول إلى صالح العمل، والعمل الصالح النافع في المعاش والمعاد، المدّخر لصاحبه الثوابُ الجاري، والأجرُ الباقي، وليكون له لسان ذكر في العالمين.

عليه -سبحانه -وحده- التُّكلان، وإليه الشكوى بما حلَّ بهذه الأمة من الهوان، وما أصاب مقدَّراتها ومدّخراتها من الضياع والتشتُّت والنسيان، فهذه صرخة مستجيرٍ بربِّه، لعلها تجد الآذان، وما ذلك على الله بعزيز، فهو -سبحانه- الكريم المنَّان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❖ الحلقة الثانية

تنوير القلوب

ببيان نكارة لفظة (صلوب) في حديث رقية النَّمِلَة

• بقلم: الشيخ أكرم بن محمد زيادة

تكلمنا في الحلقة الماضية عن أسانيد وطرق وألفاظ الحديث، وفي هذه الحلقة نكمل:

❖ شرح الحديث ومعناه :

سادساً : غريب المفردات، وضبطها، ومعانيها :

الرُّقْيَةُ: العوذة، والجمع (رُقَى)؛ واسْتَرْقاهُ فَرَقَاهُ يرقيه رُقْيَةً -بالضم- فهو رَاقٍ .

النَّمِلَةُ -بفتح النون، وكسر الميم- : **قال الأصمعي: (قروح تخرج من الجنب، أو الجنبين، أو غيرهما).**

النُّمْلة -بضم النون، وسكون الميم-: فهي النَّمِيْمَة، يقال: رجل نَمِل إذا كان نَمَّاماً، قال الراعي:

لسنا بأخوال الآف يزيلهم

قول العدو ولا ذو النُّمْلة المحل

النَّمْلةِ ـ بفتح النون، وسكون الميم ـ : دابة من دواب الأرض جاء ذكرها في التنزيـــل : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [النمل: ١٨]، ومنه حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- « **أنه نَهى عن قتل أربع من الدَّواب : النَّمْلةِ ، والنَّحْلةِ، والهُدْهُدِ، والصُّرَدِ** » [رواه أبو داود (٥٢٦٧)، وابن ماجه (٣٢٢٤)، وصححه شيخنا فيها]، قال الخطابي : إنما جاء في النهي عن قَتْل النَّمل ؛ عن نوعٍ منه خاصٍّ، وهو الكِبار ذَوات الأرجُل الطِّوال، لأنها قليلةُ الأذَى والضَّرر. وعضَّتُها تسمى (نُخبة) وفي الحديث : « **ما أصابَ المؤمنَ مِن مكروه فهو كفَّارةٌ لِخَطاياه حتى نُخبةِ [وقيل: نُجْبَة] النَّملة**» [ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢٩)، ولم يجده الحافظ في «تخريج الكشاف»، وحسنه لشواهده العجلوني في «الكشف» (٢١٧١)].

النُّخبة: العَضَّة، والقَرصَة، يقال : نَخَبَت النَّملة تَنخُب: إذا عَضَّت، والنَّخبُ: خَرق الجِلد .

ويُقال: رَجُل نَمِلُ الأصَابع أي: خَفِيفها في العمل .

صلوب : لم أقف لها على معنى في المعاجم .

صلو صب : لم أقف لها على معنى في المعاجم.

البَأْسُ : العذاب، وهو أيضا الشدة في الحرب، وعذاب بئيس أي: شديد، و البَأساءُ الشدة .

الكُرْكُم: هو الزعفران . وقيل : العُصْفُر . وقيل : شيء كالوَرْس ؛ وهو فارسي معرّب .

وقال الزمخشري : الميم مزيدة ؛ لقولهم للأحمر كَرِكٌ . ومنه الحديث «**حين ذكر سعدَ ابنَ مُعاذ فعاد لَونُه كالكُركُمة**» . وفيه: «**بينا هو وجبريل -عليهما الصلاة والسلام- يَتحادثان تَغَيَّر وجْهُ جبريل حتى عاد كأنه كُرْكُمة**».

الكَرْم: العِنَبُ، وعود كَرم يعني عود عنب، وفي الحديث: «**لا تُسَمُّوا العِنَب الكَرم؛ فإنَّما الكَرْم الرجل المسلم**» [رواه مسلم (٢٢٤٧) عن أبي هريرة].

النُّورة : مادة لحلق الشعر، وإزالته .

سابعاً : المعنى الإجمالي للحديث :

قال ابن الأثير في «النهاية» (٥/ ١١٩): (فأراد النبي ﷺ بهذا المقال تأنيبَ حفصةَ لأنه ألقى إليها سرًّا فأفشته). [على ما شهد به التنزيل في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾] [التحريم:٣]

ورقية النملة: هو من لغز الكلام ومزاحه. وذلك أنها كلامٌ كانت نساءُ العرب تستعملُه، يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع، وهو أن يقال للعروس: (تحتفل [تنتعل]، وتختضب [تقتال]، وتكتحل، وكل شيء تَفْتَعِلْ [يُفْتَعَلْ]، غير أن لا تعصي الرجل) .

❖ فقه الحديث وما يستفاد منه سنداً ومتناً:

١ ـ اهتمَّ النبيُّ ﷺ، والمسلمون عامة، والسلفُ خاصة، بالعلم الشرعي والدنيوي، وتعليمه سماعاً وإسماعاً، وكتابةً، وتدويناً. ويتمثل ذلك بتحريض النبيِّ ﷺ الشفاء على تعليم حفصةَ الكتابةَ والرقية، وهي من الطب أو الاجتماع.

٢ ـ اهتمَّ النبيُّ ﷺ، والمسلمون عامَّةً، والسلف خاصَّةً، بتصفية العلم الشرعي والدنيوي، ويتمثَّل ذلك بحرص النبي ﷺ على معرفة رُقَى الصحابة، ليصونَ بها جنابَ التوحيد، ولينتفعوا من الرُّقَى في دنياهم، وحرصُ الشفاء -أيضاً- على عرض رقاها على النبي ﷺ لتراها إن كانت موافقةً للشرع، نافعةً للعباد أم لا، وعدمُ إصرارها على ما كانت عَلِمَتْهُ في الجاهلية، فلم تتركه كلَّه، ولم تأخذه كلَّه، بل حرصت على تصفيته .

٣ ـ حرص النبي ﷺ على تربية وتزكية أصحابه -وخاصَّةِ أهل بيته- ولو كان بجلب العلم لهم ممن هو دونهم .

٤ ـ فضلُ الشفاءِ -رضي الله عنها- (بسبب علمها، وتعليمه).

٥ ـ جوازُ تعلم الفاضل (حفصة) من المفضول (الشفاء).

٦ ـ نقل العلم الشرعي من الآباء والأمهات إلى الأبناء والأحفاد مِن سماتِ هذه الأمة؛ (فرواة الحديث أبناء، واخوة، وأحفاد).

٧ ـ حرصُ الخلفاء -وخاصَّةً الراشدين -والعُمَران منهم- على تعليم أولادهم روايةَ الحديث، (حفصة بنت عمر بن الخطاب، وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز).

٨ ـ اهتمامُ الخلفاء بأهل العلم والفضل، لا فرق بين الرجال والنساء في ذلك، (تقديمُ عمرَ للشفاء وولدها، وتقديمُ عثمانَ والمسلمون لولدِ الشفاء).

٩ـ جوازُ التكنية والتعريض (على معنى رقية النملة التقرُّب للزوج).

١٠ ـ استحبابُ تعلمُّ المرأةِ الكتابةَ، وبالتالي القراءةَ. (تعلم الشفاء وحفصة).

١١ ـ جوازُ تخصيص نساءٍ لتعليم النساء العلومَ الشرعية وآلاتِها.

١٢ ـ الاهتمامُ الشديد من المسلمين وخاصة السلفَ أهلَ الحديث، بألفاظ وطرق الحديث ورواته.

١٣ ـ فائدةُ جمع الطرق ودراستها لتصفية حديث النبي ﷺ ليكون مادةَ تزكيةٍ وتربيةٍ صحيحةً.

١٤ ـ معرفةُ الرجال الذين يحملون حديثَ النبي ﷺ ونقدُهم من الواجبات الشرعية، وليس من الغيبة في شيء؛ حفاظاً على حديث النبي ﷺ.

١٥- فضلُ أهلِ العلم من السلف؛ أهلِ الحديث، خَاصَّة رسول الله ﷺ على غيرهم بانتسابهم إليه.

١٦ ـ الحرصُ على استدامة التعلم والتعليم وجعل الماضي حافزاً للحاضر وعدم الركون إليه: «ما يمنعكِ أن تعلمي هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة».

١٧ ـ جوازُ مخاطبة المرأة الأجنبية بالمعروف إذا أُمِنَتِ الفتنةُ، وأمرها بفعل المعروف، والأمر به وتعليمه.

١٨ ـ استحبابُ ممازحة الرجلِ أهلَه، وتأديبهم تعريضاً وتلميحاً، والاستعانةُ على ذلك بمن يُحْسِنُهُ.

١٩ ـ جوازُ القيلولة والاستراحة في بيوت الرعية؛ إن أُمِنَتِ الفتنةُ.

٢٠ ـ جوازُ تخصيص لباس، أو فراش لضيف بعينه.

٢١ ـ جوازُ التبرُّك بآثار النبي ﷺ -المقطوع بصحّتها عنه- بعد وفاته.

وانظر -إن شئت-: «الإكمال لابن ماكولا» (٥/ ٧٦- ٧٧)، و «النهاية في غريب الأثر» (٥/ ١١٩)، و«غريب الحديث» (١/ ٨٣ -٨٤) و(٢/ ٦٢٠)، و «لسان العرب » (١١/ ٦٨٠)، و«فتح الباري» (١٠/ ١٩٦)، و«عون المعبود» (١٠/ ٢٦٦ - ٢٦٩)، و«نيل الأوطار» (٩/ ١٠٣ - ١٠٥).

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="5">النبي صلى الله عليه وسلم</td></tr>
<tr><td colspan="5"></td></tr>
<tr><td colspan="5">الشفاء بنت عبد الله</td></tr>
<tr><td colspan="5"></td></tr>
<tr><td>أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة من الثالثة (ثقة)</td><td colspan="2">أبو إسحاق مولى الشفاء (مجهول) /عاصم ٣١٧٨والأرجح أنه رافع بن إسحاق الأنصاري مولى الشفاء</td><td colspan="2">سليمان بن أبي حثمة تابعي كبير ثقة مختلف في صحبته</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>صالح بن كيسان (١٣٠-١٤٠) (ثقة ثبت فقيه)</td><td>محمد بن المنكدر (١٣٠) ثقة فاضل « شيبة ٢٣٥٤٠ »</td><td colspan="2">صالح بن كيسان (١٣٠-١٤٠) (ثقة ثبت فقيه)</td><td>عثمان بن سليمان بن أبي حثمة (لين الحديث)</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز (١٥٠) صدوق يخطئ</td><td>إسماعيل ابن علية ١٩٣ ثقة</td><td>إسماعيل بن عياش ١٨١ صدوق في أهل بلده</td><td>عمر بن عثمان بن سليمان بن أبي حثمة (مجهول)</td><td>محمد بن عثمان ابن سليمان بن أبي حثمة (مجهول) ولعله مصحّف من (عمر)</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>محمد بن بشر ٢٠٣ ثقة</td><td>ابن أبي شيبة</td><td>عبد الوهاب بن الضحاك ٢٤٥ متروك</td><td>عثمان بن عمر بن عثمان بن سليمان ابن أبي حثمة (مجهول)</td><td>إبراهيم بن عبد الله بن عثمان بن سليمان بن أبي حثمة (مجهول)</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td></td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">ابن أبي شيبة</td><td>ابن أبي عاصم</td><td>الحاكم</td><td>ابن عبد البر</td></tr>
</table>

إلى الأخت المسلمة

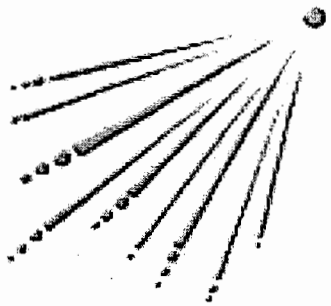

رسالـــة في

التحذير مِن التّبرج والسّفور

• بقلم: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله-

لقد تغيرت الأَحوالُ في هذه الأَزمان، وابتُلِي الكثيرُ مِن النِّساء بخلع جلباب الحياء والتهتُّك وعدم المبالاة، وتتابعت في ذلك وانهمكت فيه إِلى حد يخشى منه الانحدار في هُوَّةٍ سحيقة من السفور والانحلال، وحلول المَثُلات والعقوبات من ذي العزة والجلال، ذلك مثلُ لبسهن ما يبدي تقاطيع أَبدانِهنَّ مِن عضدَيْن وثديَيْن وخصر وعَجِيزة ونحو ذلك، ومثلُ لباس الثياب الرقيقة التي تصف البشرةَ، وكذلك الثياب القصيرة التي لا تستر العضُدَيْن ولا الساقَيْن ونحو ذلك.

ولا شك أَن هذه الأَشياء تسربت عليهن من بلدان الأفرنج ومن يتشبه بهم، لأَنها لم تكن معروفةً فيما سبق ولا مستعملةً.

ولا شك أَن هذا من أَعظم المنكرات، وفيه من المفاسد المُغلَّظة، والمداهنة في حدود الله لمن سكت عنها، وطاعة للسفهاء في معاصي الله، وكونه يجرُّ إِلى ما هو أَطمُّ وأَعظم، ويؤدي إِلى ما هو أَدهى وأَمرُّ من فتح أَبواب الشرور والفساد، وتسهيل أَمر التبرُّج والسفور.

ولهذا لزم التنبيهُ على مفاسدها، والتدليلُ على تحريمها والمنعُ منها، ونكتفي بذكر أُمهات المسائل ومجملاتها طلبًا للاختصار:

أَولا: أَنها من التشبه بالإِفرنج والأَعاجم ونحوهم: وقد ثبت في الآيات القرآنية، والأَحاديث الصحيحة النبوية النهيُ عن التشبه بهم في عدَّةِ مواضعَ معروفةٍ، وبهذا يُعرَف أَن النهي عن التشبه بهم أَمر مقصود للشارع في الجملة، وقد ذكر شيخ الإِسلام -رحمه الله- في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفةَ أَصحاب الجحيم» مضارَّ التشبه بهم، وأَن

الشرع ورد بالنهي عن التشبه بالكفار، والتشبه بالأعاجم، والتشبه بالأعراب، وأنه يدخل في ذلك ما عليه الأعاجم والكفار قديمًا كما يدخل ما هم عليه حديثًا، وكما يدخل في ذلك ما عليه الأعاجم المسلمون مما لم يكن عليه السابقون الأولون، كما أنه يدخل في مسمَّى الجاهلية ما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها.

ثانياً: أن المرأة عورةٌ، ومأمورة بالاحتجاب والستر، ومنهية عن التبرُّج وإظهار زينتها ومحاسنها ومفاتنها، قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٩].

وقال -تعالى-: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]. وقال -تعالى-: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]. وهذا اللباس مع ما فيه من التشبه ليس بساتر للمرأة، بل هو مبرز لمفاتنها، ومُغْرٍ لها، ومُغْرٍ بها مَن رآها وشاهدها، وهي بذلك داخلة في الحديث الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «صِنفان مِنْ أهل النَّار مِن أُمَّتِيْ لمْ أَرَهما بَعدُ: نِسَاء كاسِياتٌ عارِيَاتٌ مَائِلاتٌ مُمِيْلاتٌ على رُؤوسِهِنَّ كأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلةِ لا يدْخلن الْجَنَّة وَلا يَجِدْن ريْحها، وَرجَالٌ مَعَهمْ سِيَاطٌ مِثْلُ أَذناب الْبَقر، يَضربُوْن بها النَّاسَ».

وقد فسر الحديث: بأن تكتسي المرأة بما لا يسترها فهي كاسيةٌ ولكنها عاريةٌ في الحقيقةِ، مثل أن تكتسيَ بالثوبِ الرّقيقِ الذي يصفُ بشرتَها، أو الثوب الضيق الذي يبدي مقاطعَ خلقها مثل عَجِيزتها وساعدها ونحو ذلك، لأن كسوة المرأة في الحقيقة هو ما سترها سترًا كاملا بحيث يكون كثيفًا فلا يبدي جسمَها، ولا يصف لون بشرتَها لرقَّته وصفائه، ويكون واسعًا فلا يُبدي حجمَ أعضائها ولا تقاطيعَ بدنها الضيقة، فهي مأمورة بالاستتار والاحتجاب لأنها عورة.

ولهذا أُمِرت أن تغطِّيَ رأسَها في الصلاة ولو كانت في جوف بيتها بحيث لا يراها أحد من الأجانب، لحديث: «لا يَقبَل اللهُ صلاةَ حَائِض إلاَّ بخِمَار»[1]؛ فدل على أنها مأمورة من جهة الشرع بستر خاصٍّ لم يؤمر به الرجلُ حقًّا لله -تعالى- وإن لم يرها بشر، وستر العورة واجب لحق الله حتى في غير الصلاة

(١) أخرجه الخمسة إلا النسائي، وصححه ابن خزيمة.

ولو كان في ظلمة أَو في حال خلوة بحيث لا يراه أَحد وحتى عن نفسه، ويجبُ سترها بلباس ساتر لا يصف لونَ البشرة، لحديث بهز بن حكيم، عن أَبيه، عن جدِّه، قال، قلت يا رسول الله: عوْرَاتنا، مَا نأْتِيْ مِنها ومَا نذرُ؟ قال: «احْفظ عوْرَتك إِلاَّ مِن زوْجَتِك أَوْ مَا مَلكت يَمِيْنُك».

قلت: فإِن كان الْقَوْمُ بَعْضُهمْ مَعَ بَعض؟

قال: «فإِن اسْتطعْت أَن لا يَرَاها أَحَدٌ فلا يَرَيَنَّها».

قلت: فإِذا كان أَحَدُنا خالِيًا؟ قال: «فاللهُ -تعَالى- أَحَقُّ أَن يُسْتحيى مِنهُ». [رواه أَبو داود].

وقد صرَّحَ الفقهاءُ -رحمهم الله- بالمنع مِن لُبس الرّقيق مِن الثياب -وهو ما يصف البشرة- أَي: مع ستر العورة بالسترة الكافية في حق كل من الرجل والمرأة ولو في بيتها؛ نص عليه الإِمامُ أَحمد -رحمه الله-، كما صرَّحوا بالمنع من لبس ما يصف اللين والخشونة والحجم لما روى الإِمام أَحمد عن أُسامة بن زيد -رضي الله عنه-، قال: كساني رسولُ الله ﷺ قبطيةً كثيفةً كانت مما أَهدى له دحيةُ الكَلْبي، فكسوتها امرأَتي، فقال ﷺ: «مَا لك لا تلبَس الْقِبْطِيَّةَ؟!»، قلت: يا رسول الله كسوتها امرأَتي. قال: «مُرْها فلتجْعَل تحتها غِلالةً؛ فإِنيْ أَخاف أَن تصِف حَجْمَ عِظامِها».

وكما صرَّحوا بمنع المرأَة من شدِّ وسطها مطلقًا، أَي سواء كان بما يشبه الزنار أَو غيره، وسواء كانت في الصلاة أَو خارجها، لأَنه يُبيِّن حجمَ عَجِيزتها وتَبين به مقاطعُ بدنها.

قالوا: ولا تضمُّ المرأَةُ ثيابَها حالَ قيامها لأَنه يَبِينُ به تقاطيعُ بدنها فتشبه الحزام، وهذا اللباسُ المذكور : أَبلغُ من الحزام وضمِّ الثياب حالَ القيام وأَحقُّ بالمنع منه.

ثالثًا: إِن في بعض ما وقعن فيه شيئًا من تشبه النساء بالرجال وهذا من كبائر الذنوب، ففي الحديث: «لعَن اللهُ الْمُتشبِّهات مِن النِّسَاءِ بالرِّجال، وَلعَن الله الْمُتشبِّهيْنَ مِنَ الرِّجَال بالنِّسَاء»(١).

وفي لفظ: «لَعَنَ اللهُ الْمُتَخَنِّثِيْنَ مِنَ الرِّجَال وَالْمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاء»(٢).

فالمرأَة المتشبهة بالرجال تكتسب من أَخلاقهم حتى يصيرَ فيها من الظهور والتبرُّج والبروز ومشاركة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إِلى أَن تُظهِر بدنَها كما يظهره الرجالُ أَو أَكثرَ لضعفِ عقلِها، وتطلب أَن تعلوَ على الرجال كما يعلو الرجالُ على النساء، وتفعل

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه.

(٢) أخرجه الترمذي، والبخاري في «الأدب المفرد».

مِن الأَفعالِ ما ينافي الحياءَ والخَفْرَ المشروعَ في حقِّ النساء.

كما أن الرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه حتى يفضي به الأَمر إلى التخنُّثِ والميوعةِ والتمكينِ من نفسه كأَنه امرأَة والعياذ بالله، وهذا مشاهد من الواقع، فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغَ المبين : بلغ الرسالة، وأدى الأَمانة، ونصح أُمته.

قلت: وقد أَفضى الحالُ بكثير ممن يُقلِّدون المتفرنجين إلى أَن شارك كثيرٌ من النساء الرجال في البروز والخروج والوظائف والتجارة والأَسفار بدون محرم وغير ذلك، كما شارك كثير من الرجالِ النساءَ في المبالغة في التزين، والتخنُّث في الكلام، وحلق اللحى، والتثنِّي عند المشي، والتحلِّي بخواتيمِ الذهبِ، والأَزاريرِ وغيرها، وساعاتِ اليد التي فيها شيء من الذهب، ونحو ذلك وأَمثاله مما هو معروف، حتى صارت العادةُ عندهم تطويلَ ثياب الرجال، وتقصيرَ ثياب المرأَة إلى ركبتها، أَو ما فوق الركبة بحيث يبدو فخذها نعوذ بالله من قلة الحياء، والتجرِّي على محارم الله.

رابعًا: أَن هذه الأَشياء وإِن كان يعدُّها بعضُ من لا خلاقَ له مِن الزينة؛ فإِن حسبانهم باطل، وما الزينةُ الحقيقيةُ إِلا التستر والتجُّمل باللباس الذي امتن الله به على عباده بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾ [الأعراف: ٢٦]، وليست الزينة بالتعرِّي والتشبه بالإفرنج ونحوهم ممَّن لا خلاقَ له.

وأَيضًا؛ فلو سُلِّم أَنه من الزينة فليس لكل امرأَة أَن تخترع لها من الزينة ما تختاره ويخطر ببالها، لأَن هناك أَشياء من الزينة وهي ممنوعة، بل محرمة، بل ملعون فاعلها: كما لعن رسول الله ﷺ الواصلةَ والمستوصلةَ، والنَّامصة والمتنمصة، والواشرةَ والمستوشرة، والواشمةَ والمستوشمة.

وعن عبدالله بن مسعود قال: «لعَن رَسوْل الله ﷺ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتنمصاتِ، وَالْمُتفلجَاتِ لِلحُسْن الْمُغيرَاتِ لِخلق الله، فجاءته امرأَةٌ فقالت: بلغني أَنك لعنت كيتَ وكيت، فقال: ومالي لا أَلعنُ مَن لعن رسولُ الله ﷺ، وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأْتُ ما بين اللوحَيْن فما وجدت فيه ما تقول، فقال: إِن كنت قرأْتيه فقد وجدتيه، أَما قرأْتِ قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] قالت: بلى، قال: فإِنه قد نهى عنه[1].

---

(١) أخرجه السبعة إلا مالكاً: « لعن الله الواشمات .... ».

خامسًا: أن النساءَ ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ، وضعيفاتُ تصوُّرٍ وإدراكٍ، وفي طاعتهن بهذا وأمثاله من المفاسد المنتشرة ما لا يعلمه إلا الله، وأكثر ما يفسد المُلْكَ والدولَ طاعةُ النساء!

وفي «الصحيحين» عن أُسامة بن زيد -مرفوعًا-: «مَا تركتُ بَعْدِيْ على أُمَّتِيْ مِن فِتنة أَضرُّ على الرِّجَال مِن النِّسَاء».

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعًا-: «إِنَّ الدُّنيَا حُلوَةٌ خضِرَةٌ، وإِنَّ اللهَ مُسْتخلِفُكمْ فِيْها فيَنظرُ كيْف تعْمَلوْن، فاتَّقوْا الدُّنيَا، وَاتَّقوْا النِّسَاءَ[1]؛ فإِنَّ أَوَّل فِتنة بَنِيْ إِسْرَائِيْل كانت فِيْ النِّسَاء».

وفي «صحيح البخاري» عن أبي بكرة -مرفوعًا-: «لن يُفلِح قوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهمْ امْرَأَةً».

وفي الحديث الآخر: «مَا رَأَيْتُ مِن ناقِصَاتِ عَقل وَدِيْن أَغْلَبَ لِلُبِّ ذِيْ اللبِّ مِن إِحْدَاكُنَّ».

ولما أنشده أعشى باهلةَ أبياتِه التي يقول فيها: وهُنَّ شرٌّ غالبٌ لمن غلب؛ جعل النبي ﷺ يُردِّدها ويقول: «هُنَّ شر غالِب لِمَنْ غلبْ». فيتعين على الرجال القيام على النساء والأخذ على أيديهن ومنعهن من هذه الملابس والأزياء المنكرة، وأن لا يُداهَنوا في حدود الله، كما هو الواجبُ عليهم شرعًا.

قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]

وقد صرَّح العلماءُ: أَنَّ وليَّ المرأة يجب عليه أن يجنِّبها الأَشياءَ المحرَّمةَ من لباس وغيره ويمنعَها منه، فإن لم يفعل تعيَّن عليه التعزيرُ بالضرب وغيره، وفي الحديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُوْلٌ عن رَعِيَّتِهِ»[2].

والمقصود: أن معالجةَ هذه الأضرارِ الاجتماعيةِ المنتشرةِ من أهمِّ المهمات، وهي متعلِّقةٌ بوُلاة الأمر -أولاً-، ثم بقيِّم المرأة ووليِّها -ثانيًا-، ثم المرأةُ نفسُها مسئولةٌ عمَّا يتعلَّق بها وبناتِها وفي بيتِها، كما على طلبةِ العلم بيانُ أحكامِ هذه المسائل والتحذير منها، وعلى رجالِ الحسبةِ، والأمر بالمعروف والنَّهيِ عن المنكر: أن ينكروا هذه الأشياءَ ويجتهدوا في إزالتها.

نسأل الله أن يجنِّبنا مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن ينصر دينَه، ويُعلِيَ كلمتَه، ويُذلَّ أعداءَه، إنه جوادٌ كريم.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه.

(٢) متفق عليه.

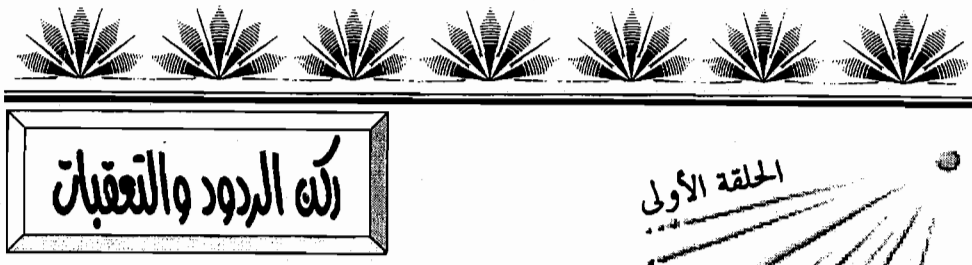

ركن الردود والتعقبات

الحلقة الأولى

وقفات منهجيّة

مع إبراهيم اليماني(!) فيما نسبه للدّعوة السّلفيّة!

١

• بقلم: محمد بن يوسف خشان

الحمد لله، وبعد:

فهذه جولةٌ أخرى وقبل الأخيرة مِن الجولات مع الأخ اليماني -هداه الله- في مناقشته فيما نسبه للدعوة السلفية، وقد وصلنا عند قوله لنا:

نُذكِّرك بأن هجومَك وأصحابِك الذي تسميه تصويباً ونصحاً لا يشمل أبداً الجماعات غير الإسلامية، أو تلك التي تستهزئ بدين الله فضلاً عن أن تشمل الأنظمةَ، وما تفعله بدين الله وبعباده المساكين.اهـ

أقول: لا شك أن الردَّ على من خالف الشريعةَ - بعموم - من أهمِّ المهمات وأعظمِ الواجبات، سواءٌ كان هذا المخالف ممن ينتسبُ إلى الشريعةِ ويعتزي إليها كما هو حال سائر الفرق والجماعات الإسلامية، أو كان هذا المخالفُ ممن ينتسب إلى غير الشريعة، كدعاة المادية والتحرُّر والعَلمانية، فالمقصود هو صدُّ العدوان ودفعُ الخطأ بكافة مستوياته وأشكاله، وهنا تحرير المقام، فأقول:

لا يخفى على العاقل الفَطِنِ والموفَّقِ، الأريبِ أن الخطرَ الداخلي الذي يُلْبَس لَبوس الإسلام، ويُظهرَ على أنه الحقُّ المبين، والشرع المستبين وهو في الحقيقة خليطٌ بين الحق والباطل، لهو أشدُّ خطراً، وأعظمُ ضرراً على الأفراد والمجتمعات الإسلامية من الباطل المحض، من أمثال أولئك الذين يستهزئون بدين الله، أو يجهرون ببعض الدعوات المناقضة للشريعة، فليس يخفى على الناس يا يماني!! ضلالُ أصحاب هذه الدعوات الفاسدة، وظلم كثيرٍ من الولاة والأمراء

وعلى رأس ذلك الحكم بغير ما أنزل الله[1]، كما لا يخفى على الناس جنايةُ من أنكر الحجاب وزعم أنه عادةٌ جاهلية، فكل هذا من الباطل المحض الذي تنفر منه الفِطَرُ السليمة، وفي مقابل ذلك: قد يخفى على الناس إثباتُ العلو لله -جل وعلا-، أو إثبات عذاب القبر، أو رؤية المؤمنين لربهم يومَ القيامة، ونحو ذلك مما نفاه أهلُ البدع، وهم فيما يثبتونه أو ينفونه يحتجُّون بالمتشابه من الكتاب والسنة،لأجل هذا -وغيره- كان خطرُ أهل البدع على الإسلام وأهله أشدَّ مِن خطر أهل الكفر والعصيان، وقد روى الإمامُ البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٠) والإمامُ الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢١) وعبدُالله بن الإمام أحمد في كتابه «السنة» (١/ ١١١) وغيرهم -رحم الله الجميع - عن عبد الله بن المبارك قوله: «لأن أحكيَ كلام اليهود والنصارى أحبُّ إلي من أن أحكيَ كلام الجهمية». اهـ.

ووجه ذلك أن كلام هؤلاء مظنة الإضلال والإغواء وإفساد القلوب والأديان ببهرج القول وزخرفه، وكل ذلك باسم الدين وهداية الناس، فهم يَلْبِسون الحقَّ بالباطل، والباطلَ بالحق، بخلاف أولئك، فهم لا ينتسبون للشريعة أصلاً، فالاغترارُ بكلامهم بعيد كما بين المشرق والمغرب كما هو ظاهر، فأي الفريقَيْن أحقُّ بالنقض والرد!!! ورحم اللهُ ابنَ القيم حين قال كما في «مدارج السالكين» (١/ ٣٢٧): «واشتد نكير السلف والأئمة للبدعة وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك بما لم يبالغوا في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد». اهـ.

قلت: ومن وجه آخر فإن ما نسبه للدعاة السلفيين غيرُ صحيح البتّة، بل مردود عليه، وهو دليل آخر من جملة أدلة على ضعف اطلاعه، فأن لأهل السنة جُهداً في الرد على غير الجماعات الإسلامية، جَهِلَ هذا من جَهِلَه، وعَلِمَه مَن عَلِمَه، ومن ذلك -على سبيل المثال-: كتاب الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- والموسوم بـ «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين»، وكذا ما كتبه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- في نقض أصول الليبرالية، والعلمانية، وكذا ردود الشيخ عبد العزيز الريس -حفظه الله- وأشرطته في الرد على منصور النقيدان ودعاة الأفكار المنحرفة، مروراً بما كتبه المشايخ

---

(١) مع التنبيه هنا على أن الهجوم !! على الأنظمة - والذي ينادي به اليماني - ليس من هدي السلف، وليس من الحكمة والعقل في شيء كما سيأتي بيانه.

-حفظهم الله- في العدد الأخير لمجلة «الأصالة»، والتي أفردت مواضيعها في الذّب عن سيد البشرية ﷺ جرَّاء الحملة الدنمركية الموتورة، إلى غير ذلك مما كتبه أهل السنة.

وهنا لي أن أسأل: أين ما يزعمه اليماني من قيام الجماعات الإسلامية بالدعوة إلى الدين الصحيح؟! وأين آثاره وثماره؟! بل أين مظاهره؟! ولست -والله- أظن دعواه إلا كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً!! والله الهادي.

ويقول -هداه الله-: «بالنسبة للأخ خشان ومن يتبنى رأيه لا قيمة للعدوان الأمريكي الصهيوني على الأمة الذي يستهدف دينها وقرآنها..».اهـ

قلت: وهذا قولٌ قبيح وافتراءٌ صريح، فكيف يظن مسلمٌ بمسلمٍ هذا الأمرَ الخطيرَ، وليس ظني بك كظنك بي، ونحن -والله- نعتقد جازمين أن واقع الأمة وما تواجهه من تسلط الكفار عليها ليحزن المسلمين جميعاً على اختلاف أفكارهم ومناهجهم، و لا نشك في إخلاص كثير منهم، ولكن الخلاف في كيفية علاج هذا الواقع وتغييره، وما نعتقده -من غير شك- أن مسلك القرآن هو المسلك الأمثل الأرشد، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥]، فتحقيق العبودية لله -جل وعلا- في الأرض سببٌ قطعي لتحقيق النتيجة التي وعد الله بها عباده المتقين، وسوى ذلك من الأسباب التي تمارسها الجماعات -في غالبها- ما هي إلا فُقَاعاتُ صابون -كما يقال-، والله المستعان.

ويقول -هداه الله- بعد أن ذكر -مستنكراً- أن منهج السلف هو الطاعة لولي الأمر بصرف النظر عن قربه أو بعده عن الإسلام،- برًّا كان أو فاجراً- يقول: «وتلك -والله- سلفية لا تلتقي مع سيرة علماء الأمة في تاريخهم كله، ولا في سيرة الصحابة، وإذا كان ذلك رأي(!) لبعض الحنابلة فهو خلاف رأي الأمة طوال تاريخها؛ إذ إن إنكار المنكر يصح في حال الحاكم والمحكوم ... ثم هل كان العز ابن عبد السلام خارجياً عندما انتفض في وجه الظلم أم أن أشعريتَه تكفيه ذنباً برأيك».اهـ

أقول: الدليل إما نقلٌ مصدَّق أو علمٌ محقَّق، و فيما قاله دليل معتبر على مبلغه من العلم؛ إذ قد أورد عدَّة مغالطاتٍ ومخالفاتٍ، منها:

قوله: «وتلك والله سلفية لا تلتقي مع سيرة علماء الأمة في تاريخهم كله، ولا في سيرة الصحابة».اهـ

قلت: إن كان يقصد اليماني أن ما لا يلتقي ومنهجَ علماء الأمة! في تاريخهم كله! ولا في سيرة الصحابة!! هو الطاعة لولي الأمر الفاجر الفاسق بل الواجب المتعين هو عدم

السمع والطاعة -سواءٌ أمرك بطاعة أو معصية -، فكلامه باطل ودعواه عريضةٌ، عريةٌ عن الدليل -ابتداءً وانتهاءً- ودونك البيان بالنقل والبرهان، فمن السنة:

ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٢/ ٤٣٩) عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: قلت: يا رسول الله إنا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف ؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال **قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**». قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع».اهـ

وهذا الحديث مِن أبلغ الأحاديث التي جاءت في هذا الباب؛ إذ قد وصف النبي ﷺ هؤلاء الأئمة بأنهم لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، بل وقلوبهم كقلوب الشياطين، ولك أن تسرح بذهنك وتتأمل بخيالك ما ينطوي عليه قلب الشيطان من شر وفساد وزيغ وعناد، ومع ذلك فقد أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- بطاعتهم – في غير معصية – كما هو مقرر وكما جاء مقيداً في أحاديث أُخر.

وروى البخاري (١٣/ ٧ -فتح)، ومسلم (١٢/ ٤٣٥ -نووي) -والسياق له- من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون بعدي أَثَرَةٌ وأمورٌ تنكرونها»، قالوا: يا رسول الله! كيف تأمرنا من أدرك منا ذلك؟ قال: «تؤدون الحقَّ الذي عليكم وتسألون اللهَ الذي لكم».

والأَثَرة: هي الاستئثار بالشيء من أمور الدنيا لمن له فيها حق ومعنى.

وأمور تنكرونها: أي: من أمور الدين وما يحصل فيه من تغيير وتبديل .

يقول الإمام النووي - رحمه الله – كما في شرحه على «صحيح مسلم» (١٢/ ٤٣٥): «فيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يُخرج عليه، ولا يُخلع بل يُتضرع إلى الله -تعالى- في كشف أذاه، ودفع شره، وإصلاحه» .اهـ

ويقول ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- كما في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٨١): «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور؛ فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، فالجزاء من جنس العمل، فعلينا بالاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل؛ قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] »..اهـ.

وقد سئل سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز ابن باز-رحمه الله- كما في «فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة» (ص ١٠٢): عن كيفية التعامل مع الحاكم الذي يسنُّ القوانين الوضعية التي تتضمن تعطيل الحدود، فلا حد على الزاني، ولا حد على السارق، ولا

حد على شارب الخمر، فقال -رحمه الله-: «نطيعه في المعروف وليس في المعصية حتى يأتي الله بالبديل» .اهـ

قلت: وهذا مما اتفقت عليه كلمة أهل السنة، وصاروا يذكرون هذا في مصنفاتهم وعقائدهم، نصّ على ذلك الأئمة كأبي زرعة الرازي، وأبي حاتم الرازي، والآجُرِّي، والصابوني، وأبي الحسن الأشعري، وشيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، والحافظ ابن رجب، وغيرهم -رحم الله الجميع- بل ونقلوا الإجماع على ذلك.

وأما المنهج الذي ينسبه اليماني للصحابة ويتباكى عليه فغير صحيح، ولست أدري من أين جاء به!! ودونك البيان:

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٧٥): بسنده عن طاووس قال: «ذُكرت الأمراء عند ابن عباس فانبرك[١] رجلٌ فتطاول حتى ما أرى في البيت أطول منه، فسمعت ابن عباس يقول: «لا تجعل نفسك فتنةً للقوم الظالمين»، فتقاصر حتى ما أرى في البيت أقصر منه» اهـ .

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٩٣) -بسندٍ جيد- عن زيد بن أسلم «أن ابن عمر كان في زمن الفتنة لا يأتي إمام إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاةَ ماله» اهـ .

وفي «التاريخ الكبير» (٨/ ١٠٤) للبخاري -رحمه الله- عن أبي جمرة الضُّبَعي قال: لما بلغني تحريق البيت خرجت إلى مكة واختلفت إلى ابن عباس، حتى عرفني واستأنس بي، فسببت الحجاج عند ابن عباس فقال: «لا تكن عوناً للشيطان» .اهـ

قلت: وقد كان أنس وابن عمر وغيرهم من الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- يصلون خلف الحَجَّاج، و كذلك ابن مسعود -رضي الله عنه- كان يصلي خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ولم يكونوا -رضي الله عنهم- يطعنُون فيهم، أو يؤلِّبون الناس عليهم، على ما هم عليه من ظلم وفجور، ففي «التاريخ الكبير» -أيضاً- (٧/ ١٨) عن عون السهمي، قال: أتيت أبا أمامة فقال: «لا تسبوا الحَجَّاج، فإنه عليكم أمير، وليس عليَّ بأمير»[٢] .اهـ

وأما ما وقع من بعض الصحابة -رضي الله عنهم- من خروج عن طاعة الإمام، كما وقع من الحسين -رضي الله عنه- مع يزيد بن معاوية، أو ما وقع من سعيد بن جبير وما جرى له مع الحجاج، فهم في ذلك مجتهدون معذورون، وقد استقر أمر أهل السنة على خلاف ما وقع منهم- رحمهم الله - وتقرير وعدم صحته.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في «منهاج السنة» (٤/ ٥٢٩): «ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون

---

(١) انبرك الرجل في عرض أخيه، أي: اجتهد في ذمه.

(٢) وقوله: ليس علي بأمير لأن أبا أمامة كان يسكن الشام والحجاج في العراق.

بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين ... ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب واعتبر -أيضاً- اعتبار أولى الأبصار؛ علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور ولهذا لما أراد الحسين -رضي الله عنه- أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين؛ كابن عمر، وابن عباس، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يُقتل حتى إن بعضهم قال: استودعك الله من قتيل ... وهم في ذلك قاصدون نصيحته، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين، والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى ... ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، **ولم يثن على أحدٍ لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة**» .اهـ

ونصيحتي للأخ اليماني أن يخفف من اندفاعه، و يكبح جماح عاطفته، وأن يدلل على كلامه بما يقويه، وإلا فالكل يحسن الدعاوى والصياح .

وأما احتجاجه -هداه الله- بفعل العزِّ ابن عبد السلام -رحمه الله- فليس بصواب، فليس العزّ بالمعصوم حتى يكون فعله حجة على الشريعة، وليس انتفاضتُه في وجه الظلم -على حد تعبير الكاتب- هو فيه خيراً من الحسين بن علي -رضي الله عنه وعن أبيه- وقد خالفه كبار الصحابة، أو من كثير من أهل الحرة التي قاتل فيها خلق من أهل العلم والدين، ومع ذلك كان الصواب مع الذين اعتزلوا الفتنة، وصبروا عليها، وعلى ذلك استقر أمر أهل السنة كما قال شيخ الإسلام، بل ليس العزُّ بأفضلَ وأعلمَ من الإمام أحمد وما جرى له من ابتلاء في فتنة القول بخلق القرآن، وكان المأمون إذ ذاك قد امتحن الناس بالقول بخلق القرآن في الأسواق والمساجد والمجامع العامة، ومع ذلك صبر الإمام أحمد و لم ينتفض! -رحمه الله- في وجه الظلم، رعايةً منه للمصلحة العامة وحقناً للدماء، ورحم الله الشعبيَّ لما قيل له: يا عامر أين كنت في فتنة ابن الأشعث ؟ قال كنت حيث يقول الشاعر:

عَوَى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى
وصوتَّ إنسانٌ فكدت أصيح

بل كان السلف -رحمهم الله- يدعون للولاة بالصلاح والمعافاة، ويذكرون هذا في مصنفاتهم في الاعتقاد.

يقول أبو عثمان الصابوني -رحمه الله- كما في عقيدته المسماة: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» والمطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ١٢٩) ... يقول: «ويرون -أي أهل السنة- الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح» .اهـ

ويقول الإمام البربهاري -رحمه الله- كما في «شرح السنة» (ص١١٧): «فأُمرنا أن ندعوَ لهم بالإصلاح ولم نؤمر أن ندعوَ عليهم وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين». اهـ

وأما قوله -هداه الله-: «إذ إن إنكار المنكر يصح في حال الحاكم والمحكوم» فصحيح، ولكن ليس على مراده، فقوله بعد هذا الكلام: «وهل كان العز بن عبد السلام خارجياً عندما انتفض في وجه الظلم» يجعل الانتفاضَ في وجه ظلم الحاكم -عند اليماني- من إنكار المنكر الجائز أو الواجب، والذي نسبه -جهلاً- للسلف وجمهور الأمة، وعزى خلافه -جهلاً - أيضاً- لبعض الحنابلة، ولا ريب أن هذا خطأ محض، وجهلٌ بمذهب السلف والعلماء -رحمهم الله-.

و مما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عياض بن غَنْم، قال: يا هشام بن حكيم! قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت، أولم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانيةً، ولكن ليأخذْ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له .. ».

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٧٥) وسعيد بن منصور في «سننه» (٤/ ١٦٥٧) عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: آمر إمامي بالمعروف ؟ فقال ابن عباس: «إن خشيت أن يقتلك فلا، فإن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك».اهـ

وفي «سنن سعيد بن منصور» (٤/ ١٦٦٠) عن عبد الرحمن بن أبي سبرة، قال: قال عبدالله: «إذا أتيت الأمير المؤمَّر فلا تأته على رؤوس الناس» .اهـ

والآثار في هذا الباب كثيرة، ولست جريئاً على دين الله بحيث أُهوّن من شأن إنكار المنكر وتغييره، وإنما أنكر الاندفاعَ والتهوُّرَ فيه، والذي يمارسه الحركيون والحزبيون على غير أصلٍ أو هدىً من الله، والذي يعود -غالباً- على الحاكم والمحكوم بالشر والفساد، والله الموفق للخيرات .

وأما زعم اليماني -سدده الله- أن من نُقل من آثارٍ عن السلف في هذا الباب -والتي فيها الصبر على جور السلطان ولزوم طاعته بالمعروف- غير متنزّلة على حكام زماننا الذين يتبنون (أيديولوجيات) لا صلة لها بالإسلام، فغير صحيح، فالعبرة -على التحقيق- بترجيح المصلحة والمفسدة، والصبر على هذا النوع من الحكام والولاة فيه دفعٌ لشرٍّ عظيم وفتنةٍ كبيرة مع مناصحتهم -لمن استطاع- بالحسنى ومن غير تشهير أو تغليظ.

وللبحث بقية...

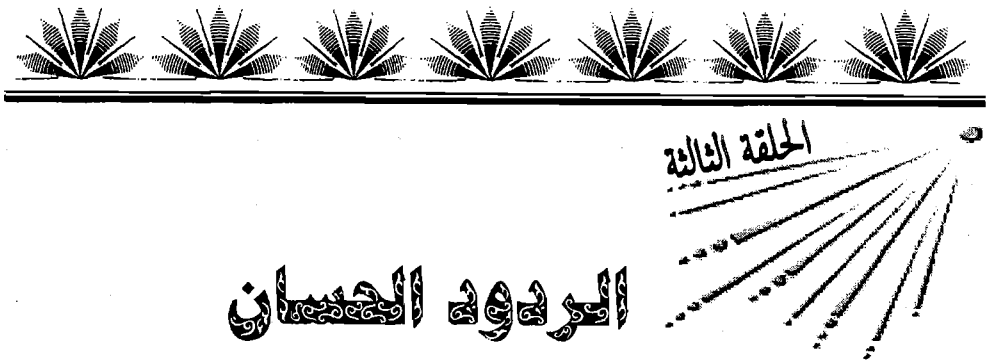

على من كتب ملاحظات على رسالة (مجمل مسائل الإيمان)

٢

• بقلم: لافي بن يوسف الشطرات و محمد بن أحمد المنشاوي

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (٧/ ٦٧٢):

«فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ».

وحتى لا يقال: إننا استعجلنا على كاتبنا، فإننا ننتظر منه أن يأتينا بكلام لأهل العلم مفاده أن التصديق هو من عمل القلب لا من قوله!

وإنا لمنتظرون .....

ومما يؤكد أن ما قاله عن (التصديق) جهلٌ منه، وليس سهواً أو غفلة؛ أنه أعاد قوله:

«والإيمان يشمل جميع أعمالَ القلب كالخوف والخشية والمحبة والانقياد والتصديق وغير ذلك».

وقوله «غير ذلك»:

لا ندري هل يعني أعمال القلب الأخرى -وهذا الظاهر-؟ أم قول القلب الذي لم يذكره عندما بيّن ما يشمله الإيمان؟

وهل بعد ذلك يبقى لقوله مجال عندما قال: «ولا يجوز أن نقول كلاماً يفهم منه خلافُ ذلك»؟!

فنقول: بل يجب أن نقول كلام الحقّ الذي لا يعلمه الكاتب، وأن نقرر -أيضاً- أن الإيمان القلبي يشمل عمل القلب وقول القلب -الذي هو تصديقه- مما جهله -أو أسقطه- الكاتب!

قال الكاتب -هداه الله-:

«هذا القول مخالف لقولهم الأول بأن الإيمان: «اعتقاد بالجَنَان».

فنقول: بل هو مخالف لجهلك -معذرةً!- الأول والآخر مرّة أخرى! حيث إن ما في

(القلب) قد عبر عنه علماء أهل السنة بألفاظ متنوعة كلها تدل عليه، ولا تخرج عن معناه إذا أضيف إليها غيرها من أركان تعريف الإيمان، وإن اختلفت في دلالتها إذا أُفردت دون باقي أركان تعريف الإيمان.

بمعنى أن هذه الألفاظ (المعرفة، التصديق، الاعتقاد) إذا فُسِّرَ الإيمان بها -فقط- دون أن يُضاف إليها ما يستلزمه وجودُها من عمل القلب والجوارح و قول اللسان، أو يضاف إليها قول اللسان - فقط- فهذا الذي قاله المرجئة، أما أن يُشار إلى ما في القلب -فقط- بأحد هذه الألفاظ -مع ذكر باقي أقسام التعريف- فهذا صنيع السلف الذين هم بلا شك أعلم منك ! ولكنْ : لا ندري ما منزلتهم عندك ؟!

قال ابن القيم -رحمه الله- في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١/ ٨٤):

«وأما الإيمان: قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح».

وقال أيضاً -رحمه الله- (ص١٠٤):

«وأن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح».

وقال شيخ الإسلام (٧/ ١٤٤):

«وكانوا يقولون :الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح».

وقال -أيضا- (٧/ ٣٨٨) :

«اعلم -يرحمنا الله وإياك- أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح».

وبما سبق يظهر واضحاً أنه يجب -لزاماً- التفريق بين استعمال أهل السنة لهذه الألفاظ وبين أهل البدع -كالمرجئة- وغيرهم، حتى لو اتفق الطرفان في بعض الألفاظ .

ولن ننسى -في هذا المقام- من تذكيرك بقول النبيِّ ﷺ: «من صمت نجا». [«الصحيحة» (٥٣٦)]

هذا أولاً.

ثانياً: قوله: «لذا فإن الصواب أن يقال: اعتقاد القلب، أو اعتقاد الجَنَان، ولا يجوز أن نقول كلاماً يُفهم منه خلاف ذلك» .

فنقول للكاتب -هداه الله-:هل تدري أنه في مقام التفصيل -لا الإجمال- فإن مصطلح (اعتقاد القلب)، أو (اعتقاد الجَنَان) لا يشمل -أحياناً- كل ما في القلب مِن (قول وعمل)، وما كتبه مشايخنا في رسالتهم هو (مجمل) مسائل الإيمان، وأكدوا ذلك بقولهم: «فهذا مختصر علمي».

وما قررناه هو صنيع شيخ الإسلام -رحمه الله- الذي يوحي بأن اعتقاد القلب عند إطلاقه لا يُفهم منه -دائماً- دخول أعمال القلب؛ فقد قال -رحمه الله- في «الفتاوى» (٧/ ٥٠٦):

«وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولا بد أن يدخل في قوله: (اعتقاد القلب) أعمالُ القلب المقارِنة لتصديقه».

ولا ندري ماذا سيقول صاحبنا(!) -بعد أن صُدم بهذا الكلام- إذا قرأ ما قاله شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٧/ ٦٧٢):

«فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجابَ العلة المعلولَ.

ويتبع الاعتقادَ قولُ اللسان، ويتبع عملَ القلبِ الجوارحُ من الصلاة والزكاة والصوم والحج -ونحو ذلك-».

فهل اكتفى شيخ الإسلام -رحمه الله- بلفظ الاعتقاد للدلالة على جميع ما في القلب؟ أم أنه أضاف إليه التصديق، وميّز بين الاعتقاد وعمل القلب؟

ولا نعلم ما نوع العطف ـ عند الكاتب ـ في قوله: «التصديق والاعتقاد»، وقوله: «ويتبع الاعتقادَ قولُ اللسان ويتبع عملَ القلب الجوارحُ».

هل يفيد التغاير؟ أو هو من باب عطف الخاص على العام؟ أم العكس؟ أو هو من باب التوكيد؟

أم أن هذا -كله- لم يَدُرْ في خَلَد الكاتب -سدده الله- لكثرة ما تزاحم في عقله -وقلمه- من عبارات الشتم والطعن؟

بل إن شيخ الإسلام الثاني ابن القيم -رحمه الله- في كتاب «الصلاة» (ص٥٤): نص على أن الاعتقاد هو من قول القلب -فقط- حيث قال: «وها هنا أصل آخر ؛ وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل:

- والقول قسمان: قول القلب؛ وهو: الاعتقاد، وقول اللسان؛ وهو: التكلم بكلمة الإسلام .

- والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه،وعمل الجوارح».

وحتى نهوّن من الصدمة والمصاب، وإعمالاً لقول الله- تعالى-: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ [آل عمران ١٥٣] ؛ نذكر للكاتب قولَ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه

الله- في «الفتاوى» (٧/ ٣٣٠): «وأما سائر الفقهاء .... فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح مع الإخلاص بالنية الصادقة».

رابعاً: يبدو أن الكاتب -سدده الله- ظاهريٌّ جَلْد في مسائل الإيمان، حيث إنّه لا يعنيه من كلام أئمة الإسلام إلا مجرد الوقوف على حروف الألفاظ دون فهم معانيها وتقييد المطلق منها وتفصيل المجمل من كلام السلف، ظانًّا أن مسائل الإيمان تقوم على أرقام حسابية مجردة، لذا ضَعُف به المسير؛ لزاده اليسير، وباعه القصير.

فاعلم - يا أخانا- هداك ربُّنا- أنّ مَن أطلق مِن السلف لفظ (التصديق) فليس بالضرورة أنه يعني به قول القلب -فقط-، بل قد يكون اللفظ عنده متناولاً قول القلب وعمله، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مع كلام الإمام أحمد -رحمه الله-، في «الفتاوى» (٧/ ٣٩٧):

«وأحمد قال: لا بد مع هذا الإقرار أن يكون مُصدِّقاً، وأن يكون عارفاً، وأن يكون مُصدِّقاً بما عرف.

وفي رواية أخرى: مُصدِّقاً بما أقرّ، وهذا يقتضي أنه لابد من تصديق باطن، ويحتمل أن يكون لفظ (التصديق) عنده يتضمن (القول والعمل جميعاً)، كما قد ذكرنا شواهده أنه يقال: صدق بالقول والعمل، فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول قد خضع له وانقاد، فصدَّقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيماً، وإلاّ فمجرد معرفة قلبه أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ولما جاء به ... فلا يكون إيماناً.

ولا بد في الإيمان من علم القلب وعمله، فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مُصدِّقاً له تابعاً له، مُحبًّا له، مُعظِّماً له، فإن هذا لابد منه».

وهذا يلتقي ما سبق من كلامه -رحمه الله- (٧/ ٢٦٣)؛ وهو قوله:

«وأما الإيمان فأصله تصديق وإقرار ومعرفة، فهو من باب قول القلب المتضمن عملَ القلب، والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له».

الغلط الرابع:

قال الكاتب معلّقاً على قول المشايخ: «قالوا: الإيمان.. ينقص بالمعصية حتى يزول فلا يبقى منه شيء».

«وهذا تعبير خاطئ لأن المعاصي -التي هي دون الكفر- مهما تراكمت على صاحبها لا تزيل عنه مطلق الإيمان ... ولو قالوا:

ينقص الإيمان بالمعصية ولا يزول مطلقاً إلا بالكفر ... لكان أدق وأصوب».

فنقول -وبالله التوفيق-:

١- إن لفظ (المعصية) إذا أُطلق فإنه يدخل فيه الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٥٩): «وكذلك لفظ (المعصية) و(الفسوق) و(الكفر): فإذا أطلقت المعصيةُ لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]».

٢- نحمد الله -تعالى- أن مشايخنا لم يأتوا ببدع من القول وزور، حيث ذكر السلف أن الإيمان ينقص حتى لايبقى منه شيء، دون أن يُقيِّدوا ذلك بالكفر ؛ وهذا القيد -(الكفر)- يفهم من كلامهم هنا -ضمناً- وإن لم يصرحوا به -لصحة منهجهم-، وعلى رأس هؤلاء الإمام سفيان بن عيينة، فقال -رحمه الله-:

«الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

فقال له أخوه إبراهيم بن عُيَينة : يا أبا محمد لا تقولن: يزيد وينقص .

فغضب وقال : اسكت يا صبي! بل حتى لا يبقى منه شيء».[الآجري في «الشريعة» (ص١١٧)]

وقال إسحاق بن راهويه -رحمه الله-: «الإيمان يزيد وينقص حتى لا يبقى منه شيء». [«الابانة» (٢/ ٦٨٠)]

فهل تنقم يا -هذا- على مشايخنا ما أخذوه عن أعلام أئمتنا؟

أم سينال الجميع ما سطره قلمك الفظيع؟!

٣- أيقال -هذا- لمن قال قبل هذه الفقرة مباشرة في «المجمل» (ص ١٤):

«الإيمان شعب ودرجات؛ منها: ما تركه كفر، ومنها: ما تركه إثم -صغائر أو كبائر-».

فلْيُحمل هذا على ذاك، وإياك من المغالطة -إياك-!

٤ - ألم تقع عيناك السليمتان -بل وقعتا!-، على الطبعة الثانية من رسالة «المجمل» التي ذكر فيها المشايخ بتفصيل يسير يُزيل اللَّبْس الذي قد يبدو للبعض، ممن لا يُحسن الظن -كأمثالك-، وقرأت فيها قولهم:

«وينقص بالمعاصي -مستمرًّا به النقصُ- حتى لايبقى منه إلا مثقالُ ذرة، بل حتى لا يكاد يبقى منه شيء؛ فإذا زالت الذرة: زال الإيمان».

وللبحث بقية...

الحَرَم

معانيه، دلالاته، محظوراته

• بقلم: سعيد (محمد موسى) حسين إدريس

نسمع كثيراً من الناس يُطلقون على غير الحرمين الشريفين(المكي، والمدني)، كلمة (حَرَم!) حتى إنَّ تَسميةَ كُلٍّ مِن المسجدِ الأقصى، والمسجدِ الإبراهيميِّ في مدينة الخليل، وبعض المساجد في بعض البلاد الإسلامية، وكثيراً من مساجدِ الشيعةِ: حَرَماً، أمرٌ مشهورٌ في تاريخ المسلمينَ منذ عِدَّةِ قرون، فيقولون عن المسجد الأقصى: «ثالث الحرمين الشريفين»، و:«الحرم القدسي الشريف»، و:«الحرم الشريف»، ويقولون عن المسجد الإبراهيمي: «الحرم الإبراهيمي»، وكذلك يقولون عن مسجد السيدة زينب في دمشق: «حرم السيدة زينب»، ويقولون عن مسجد الحسين في القاهرة: «الحرم الحسيني»، ومسجد السيدة زينب: «الحرم الزينبي»، ويقولون عن مسجد الإدريسي في المغرب: «الحرم الإدريسي»، وفي المحيط الجامعي يُسمي بعض الناس الجامعات وما يتصل بها: «الحرم الجامعي!»، و«حرم الجامعة!»، ويُسَمي الشيعةُ كثيراً من مساجدهم ومشاهدهم وقبورهم: حُرُماً، وهذا من وجهة نظر شرعية لا يجوز، فكلمة «الحرم» لها مدلول مُعيَّن في الشرع، ينبغي عدم التوسُّع فيه.

وسأجعل كلامي عن هذا الموضوع حول العناصر التالية:

أولاً: الحَرَم -لغةً واصطلاحاً-.

ثانياً: الحرمان الشريفان: مكة وما حولها، والمدينة وما حولها.

ثالثاً: تسمية المسجد الأقصى: حَرَماً.

رابعاً: تسمية المسجد الإبراهيمي: حَرَماً.

خامساً: تسمية مساجد الشيعة: حُرُماً.

أولاً: الحَرَم -لغة واصطلاحاً-.

الحرَم -في اللغة-: هو ما امتنع فعله، وهو نقيض الحلال، والجمع حُرُمٌ، وأَحْرامٌ[1].

---

(١) انظر «لسان العرب» (٣/ ١٣٦-١٣٧)، و«القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٢)، و«معجم مقاييس اللغة» (٢٣٨-٢٣٩).

و-في الاصطلاح- هو: المكان الذي حُرِّم فيه كثيرٌ مما ليس بمحرَّمٍ في غيره، كالصَّيْدِ وقطعِ النَّباتِ ونحوِهما[1]، ويطلق على مكانَيْن: مكةَ وما حولَها، والمدينةِ وما حولَها.

ثانياً: الحرمان الشريفان: مكة وما حولها، والمدينة وما حولها.

أ: مكة وما حولها، قال -تعالى- مُمْتَنًّا على قريش أنه جعل لهم مكة حرماً آمناً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، قال القرطبي:«أي: جَعَلْتُ لهم حَرماً آمنًا، وأَمِنُوا من السَّبْيِ والغارةِ والقتل»[2].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما-: أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله حرَّم مكة، فلم تَحِلَّ لأحد قبلي، ولا تَحِلُّ لأحد بعدي، وإنما أُحلَّت لي ساعةً من نهار، لا يُخْتَلى[3] خَلاها[4]، ولا يُعْضَدُ[5] شجرُها، ولا يُنَفَّرُ صيدُها، ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُها[6] إلا لمُعَرِّف[7]»، وقال العباس: يا رسول الله إلا الإذْخِرَ لصاغَتِنا[8] وقُبُورِنَا، فقال: «إلا الإذْخِر[9]».

وعن خالد عن عكرمة، قال: هل تدري ما «لا يُنَفَّرُ صَيدُها؟» هو أن يُنَحِّيَهُ من الظل ينزل مكانه[10].

ب: المدينة وما حولها، قال رسول الله ﷺ: «المدينة حَرَم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها، ولا يُحْدَثُ فيها حدث[11]، من أحدث فيها حدثاً؛ فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين»[12].

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين ذلك، منها ما رواه عبدالله بن زيد بن عاصم، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ إبراهيم حرَّم مكة، ودعا لأهلها، وإني حَرَّمْتُ المدينة، كما حَرَّمَ إبراهيمُ مكَّةَ، وإني دعوت في صاعها، ومُدِّها، بِمِثْلَيْ ما دعا به إبراهيمُ لأهل مكَّة»[13].

---

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٧/ ١٨٤-١٨٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٦٤).

(٣) يُخْتَلى: يُؤخَذ، ويُقطَع.

(٤) خَلاها: هو الرَّطْبُ من الكَلأ.

(٥) يُعْضَد: يُقْطَع.

(٦) لُقَطتُها: هي مايجده الناس مما فقدَهُ غيرُهم فيلتقطونه ويأخذونه.

(٧) المعرِّف: هو من يأخذ اللُّقطة ويُعرِّفُها للناس ليَأخُذَها صاحبها.

(٨) صاغَتِنا: هم الحدادين.

(٩) الإذخِر: هو نَبْتٌ طيِّب الرائحة.

(١٠) أخرجه البخاري (١٨٣٣).

(١١) حدثٌ: أي: أمرٌ يخالفُ الكتابَ والسنةِ.

(١٢) أخرجه البخاري (١٨٦٧)، ومسلم (١٣٧١).

(١٣) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).

وللحرَمينِ الشريفينِ مزايا وخصائص وفضائل كثيرةٌ جدًّا[1]، من أهمها مضاعفةُ أجرِ الصلاةِ فيهما بما لا مَزيدَ عليه؛ فعن عبدالله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي أفضل من ألفِ صلاة فيما سواهُ من المساجدِ، إلا المسجدَ الحرامَ، وصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ من مائةِ صلاةٍ في مسجدي»[2].

ثالثاً: تسمية المسجد الأقصى: حَرَماً.

أما المسجد الأقصى فلم يرد في الكتاب والسنة ما يَجعلُه، أو يُسميه حَرَماً، وليس فيه مكان حُرِّمَ صَيْدُه ونباته، إنما ورد فيه أنه يُشَدُّ إليه الرِّحال: فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجدِ الأقصى»[3].

والمسجدُ الأقصى من المساجد التي ضُوعِفَ فيها أجر الصلاة والمغفرة، فعن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل؟ أمسجدُ رسول الله ﷺ، أم بيتُ المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المُصلى هو، ولَيُوشِكَنَّ لأن يكون للرجل مثلُ شَطَنِ[4] فرسِه من الأرض حيث يَرى منه بيتَ المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعاً، أو قال: خير له من الدنيا وما فيها»[5]، فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل مِئَتَيْنِ وخمسينَ صلاةً في غيره من المساجد، إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ: «أنَّ سليمان بن داود ﷺ، لَمَّا بنى بيتَ المقدس (وفي رواية: لَمَّا فرغ من بناء مسجد بيت المقدس) سأل الله -عزَّ وجل- خِلالاً

---

(١) لكن لا مجال لذكرها هنا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٥)، والنسائي (٢٨٩٧)، وابن ماجه (١٤٠٦)، وصححه الإمام الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٤٦ و ١١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (١٣٩٧).

(٤) الشَّطَن: هو: الحبل الطويل يُسْتَقَى به من البئر، أو تشد به الدابة، والجمع أشْطان.

(٥) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٩٨٣)، وصححه الإمام الألباني في «الصحيحة» تحت حديث (٢٩٠٢) (٦/ ٩٥٤)، قال: «وأصح ما جاء في فضل الصلاة فيه حديث أبي ذر -رضي الله عنه- قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ، وذكره . . .».

أمَّا حديث: «**صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة**» فلا يصح؛ انظر: «إرواء الغليل» (٤/ ٣٤٢-٣٤٣)، و«تمام المنَّة» (ص٢٩٢-٢٩٤).

ثلاثةً: سأل الله -عزَّ وجل- حُكْماً يُصادِفُ حُكْمَه؛ فأُوتيه، وسأل الله -عزَّ وجل- مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده؛ فأُوتيه، وسأل الله -عزَّ وجل- حين فرغ من بناء المسجد، أن لا يَأْتِيَه أحدٌ لا يَنْهَزُهُ [1] إلا الصلاةُ فيه، أن يُخرجَه من خطيئته كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ»، وفي رواية: فقال النبيُّ ﷺ: «أمَّا اثنتان فقد أُعطِيَهُما، وأرجو أن يكون قد أُعطِيَ الثالثة»[2].

رابعاً: تسمية المسجد الإبراهيمي: حَرَماً.

والمسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، كذلك لم يرد فيه شيء من الكتاب والسنة يُحرِّمُه ويَجعلهُ حَرَماً، ولا يُوجد فيه، أو حَولَهُ مكانٌ حَرَّمَ اللهُ صَيدَه ونباتَه، بل إن هذا المسجدَ في حقيقةِ أمره مقبرةٌ؛ لا تجوز الصلاة فيه؛ لأنَّ فيه عِدَّةَ قبورٍ مرفوعةٍ بارزةٍ ظاهرةٍ في وسطه وبعض نواحيه؛ منسوبة لأربعة أنبياءَ مِن بني إسرائيلَ وزوجاتِهم، وهم: إبراهيم، واسحاق، ويعقوب، ويوسف، وسارة، ورِفقة، وليئة، فعن عائشة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، قالا: لَمَّا نَزَلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطرَحُ خميصةً لهُ على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهِهِ، فقال وهو كذلك: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ» يُحَذِّرُ ما صَنعوا[3]، أي: يُحذِّر أُمتَه أن يفعلوا مثل فعلهم، فيتخذوا على القبور مساجدَ.

وفي رواية عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ، قال في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن اللهُ اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مسجدًا»، قالت: فلولا ذاك لأُبْرِزَ قبرُهُ، غيرَ أنه خُشِيَ أنْ يُتَّخَذَ مسجدًا[4].

فقد لعن النبيُّ ﷺ اليهودَ والنصارى على العموم؛ لاتخاذهم القبورَ مساجدَ، **بل وأخبر أنهم بهذه الفِعلة أصبحوا شرارَ الخلق عند الله**؛ فعن عائشة أنَّ أمَّ سلمَةَ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشةِ يُقال لها: ماريةُ، فذكرت له ما رأتْ فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبدُ الصالح -أو الرجل الصالح-؛ بنوْا على قبرِهِ مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصورَ، أولئك شرارُ الخلق عند الله»[5].

وإن أول من فتح هذا البناءَ هم جهلةُ المسلمين، أو النصارى لما استولَوْا على تلك البلاد، أو أن بعضهم أَوْحَى إلى بعض بذلك، وحصل ذلك كلُّه بعد القرون الثلاثة

---

(١) يَنْهَزُهُ: أي: يَدفعُه.

(٢) أخرجه النسائي (٦٩٣)، وابن ماجة (١٤٠٨)، وصححه الإمام الألباني في «التعليق الرغيب» (٢/ ١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

المفضلة الخيرية، ولقد كان سلفنا الصالح -رضي الله عنهم- يَمْتَنِعُونَ عن الصلاة فيه، ويَمْنَعُونَ غيرهم عن الصلاة فيه؛ طاعةً لأمر رسول الله ﷺ، وحذراً من معصيته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن قبر الخليل في المسجد الإبراهيمي في «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٨): «ولم تكن القُبَّة التي على قبره مفتوحةً؛ بل كانت مسدودةً، ولا كان السلف من الصحابة والتابعين يسافرون إلى قبره ولا قبر غيره؛ لكن لَمَّا أخذ النصارى تلك البلاد فسوَّوْا حجرتَه واتخذوها كنيسةً، فلما أخذ المسلمون البلادَ بعد ذلك؛ اتخذ ذلك من اتخذه مسجداً، وذلك بدعة منهي عنها».

وقال في «الاقتضاء» (٣٣١): «وقد كانت البِنية التي على قبرِ إبراهيمَ -عليه السلام- مَسدُودَةً لا يُدخل إليها إلى حدود المئة الرابعة، فقيل: إن بعض النِّسوة المتصلات بالخلفاء رَأَتْ في ذلك منامًا فنقبت لذلك! وقيل: إنَّ النصارى لما استوْلَوْا على هذه النواحي نَقبوا ذلك، ثم تُرِك ذلك مسجدًا بعد الفتوح المتأخرة، وكان أهلُ الفضل من شيوخنا لا يُصَلُّون في مجموع تلك البِنية، ويَنْهَوْنَ أصحابَهم عن الصلاة فيها[1]، اتباعًا لأمر رسول الله ﷺ، واتقاءً لمعصيته -كما تقدم-».

وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ١٠٧، ٢/ ١٩٢): أن المساجد التي بُنِيَتْ بعد القبور يجبُ هدمها، أو أن تُزال صورة القبر، وأن المساجدَ التي كانت قبل الدفن، سُوِّيت القبورُ فيها، أو نُبِشَتْ وأُخرِجت من المسجد، قال: «اتفق الأئمة أنه لا يُبنى مسجدٌ على قبر؛ لأن النبيَّ ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبورَ مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ؛ فإني أنهاكم عن ذلك»، وأنه لا يجوز دفن مَيتٍ في مسجد، **فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر، إما بتسويةِ القبر، وإما بنبشه إن كان جديداً، وإن كان المسجدُ بُنيَ بعد القبر، فإما أن يُزال المسجد وإما تزال صورة القبر**، فالمسجد الذي على القبر لا يُصلَّى فيه فرضٌ ولا نفلٌ؛ فإنه منهيٌّ عنه».

وللبحث بقية...

---

(١) قلت: ولا يزال الخير باقياً؛ فقد قام بعضُ أهل العلم والفضل من أهل الخليل ممن تعلَّم في الأزهر في الثلاثينيَّات من القرن العشرين الميلادي بترك الصلاة في المسجد الإبراهيمي بسبب القبور وكثرة البدع فيه، بل وقاموا ببناء مسجد بالقرب منه على بعد (٥٠٠م) تقريباً لِيُصَلُّوا فيه، وليُحيوا السنَّة، وسمَّوْه مسجدَ «السنَّة».

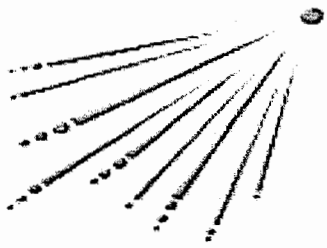

وجاءت فتنةٌ .. !

وهي أشد وأغلظ !!

• بقلم: فضيلة الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف

حَدَّث ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتربت الساعةُ ولا يزدادُ الناسُ على الدنيا إلا حرصاً، ولا يزدادون من الله إلا بُعداً». [أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية»، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الألباني في «الصحيحة» (١٥١٠)].

كان النبيُّ ﷺ حقاً «رحمةً مِهداة»، وقد أخبر بذلك هو نفسه بقوله: «**إنما أنا رحمة مِهداة**»، [أخرجه ابن سعد في «الطبقات»، وهو في «الصحيحة» (٤٩٠)].

ولا يعلم حقيقة هذا الذي قاله النبيُّ ﷺ إلا الذي تفضل اللهُ عليه بالإيمان، والعمل الصالح، فيرى عياناً ما أخبر به ﷺ من أحداث ستقع، مما يدل دلالة واضحة على نبوته ﷺ ومبلغ رحمته بأمته؛ إذ دلَّها -عليه الصلاة والسلام- إلى طريق سعادتها في الدنيا والآخرة، فكان مما قاله: «**إن السعيد لَمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لَمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لَمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا**»[1]، [رواه أبو داود، وهو في «الصحيحة» (٩٧٥)].

وفي هذا النصِّ النبويِّ فائدةٌ مُهِمَّةٌ، أَلَا وهي:

أنَّ مَن كان على بصيرة من دينه، عاملاً صالحاً، جنَّبه الله -تعالى- الفتنَ، ويدخل في

(١) وكلمة (واهًا) معناها: التلهف، وقد توضع للإعجاب بالشيء.

هذا الباب: أنه لو قدَّر الله -تعالى- له أن يكون في دائرة مكان وقوعها؛ فإنه يتعاملُ معها تعاملَ العاقلِ المحظوظِ؛ لأنه مُوفَّق للسعادة، فإذا ابتُلي بشيء منها، أو بشيء من آثارها مما لا بد أن يقع -لحكمةٍ اقتضاها ربُّ العزة-:، فعليه أن يصبر.

لقد نادى الغربُ -قريباً- بالعولمة، فالعصر عصر العولمة، وهو في شرعنا عصر الفتن، والقلاقل، والقتل، وتحمّس لهذا العصر وسارع كل من ضلَّ عن هَدْيِ النبوة والسلف، فكان الناس فيه إلى ثلاث فرق:

فرقة: أفسحت للعولمة ورحبت بها في ديارها.

وفرقة: عادتِ العولَمَة على غير هَدْيِ محمد ﷺ، فعالجتِ الأمرَ معالجةً سيئةً أساءت فيها لدين الله الإسلام!

وفرقة ناجية وهي (السعيدة) التي جُنِّبت -بفضل الله -تعالى- الفتنَ؛ فعلمت أن عصر العولمة الذي نادى به الغربُ هو عصرُ الفتن، فالتزمت شرعَ الله في معالجة الأمور، وهي فرقة قليلة فقيرة غير مسموعة؛ لأن الكثرة في الفرقَتيْن الأَولَيَيْنِ، وأشدُّهما على الإسلام الثانية لأن فيها المبتدعة أصحاب الأهواء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، الذين قدَّموا أقوالَهم على قول الله -تعالى-، وقول النبي ﷺ واغترَّ بأقوالهم وأفعالهم وفهومهم كثير من العامة.

إذن؛ فعصرُ العولمة عصر الفتن، وهو عصر شديد السرعة في التغيُّر والتغيير، عصر يذكِّر بقول النبيِّ ﷺ الذي رواه الإمام مسلم: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدُهم دينَه بعَرَضٍ من الدنيا قليلٍ**»، وفي رواية: «**يبيعُ أقوامٌ دينَهم بعَرَض الدنيا**».

والذي يعيش عصرَ العولمة -اليومَ- يرى دلائلَ ما حذَّر منه النبيُّ ﷺ في الفتن؛ لأنه عصر يحتاج المسلمُ المُوحِّد رَبَّهُ -فيه- إلى بصيرة حتى يكون على نور من ربِّه أمامَ شدَّةِ التغيُّرات الطارئة، وسرعة تحوُّل قلوب الناس، فمن شدَّتها أن يكون الرجلُ لضعف دينه مؤمناً في الصباح، كافراً في المساء، فهذه إشارة إلى شدّة سواد الفتن ولهيب عذابها.

ولفظُ (الكفر) الواردُ في الحديث (لعله) يشمل الكفرَيْن: الكفرَ المُخرِجَ من المِلَّةِ، أو الكفرَ غيرَ المُخرِجِ مِن المِلَّة، فلشدة هذه الفتن فإنها تعصف بقلب صاحبها المؤمن الذي في إيمانه ضعف فتجعله في زمرة الكافرين المُلحِدين -والعياذ بالله- خلالَ فترة وجيزة، بل خلال ساعات!!

أو لعلها تعصف بقلبه فيكفر كفراً دون الأول؛ وذلك باستحلال دمِ أخيه المسلم، أو عِرْضِهِ، أو مالِهِ، وهذا ملموس مشاهدةٌ بوادرُه في أيامنا نسأل الله -تعالى- العافية والنجاةَ.

فقد ثبت عنه ﷺ من حديث عابس الغفاري -رضي الله عنه- أنه قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: إمارةَ السفهاء، وكثرةَ الشُّرَط، وبيعَ الحُكْمِ، واستخفافاً بالدَّم، وقطيعةَ الرَّحِم، ونشواً يتَّخذون القرآنَ مزاميرَ يقدِّمون أحدَهم ليغنِّيهم؛ وإن كان أقلَّهم فقهًا**»، [أخرجه أحمد، والطبراني، وهو في «صحيح الجامع» (٢٨١٢)].

إنَّ عصر العولمة -الذي هو عصر الفتن- هو عصرُ القرارات العشوائية الجاهلة، عصرُ المفاجآت الخطيرة؛ لأنه عصرُ المعاصي والضلال، فهو : عصرُ السفور، والاختلاط، والإباحية، وصناعة الرذيلة، وأكل مال الحرام وحقوق الآخرين، عصرُ الأمراض الخطيرة، عصرُ الفِرَق، والأحزاب والجماعات، عصرٌ يوسدُّ الأمرُ فيه لغير أهله، عصرُ الرويبضة، عصرٌ يظهر فيه النفاق، وتُرفَع الأمانة، وتُقبَض الرحمة، ويُخوَّن فيه الأمين، ويُؤتَمن الخائن، عصرٌ لا يدري القاتل فيما قَتل، ولا المقتول فيما قُتل، عصرٌ قريب مما نبَّه النبيُّ ﷺ عليه عبدَالله بن عمرو، فقد ثبت عنه أنه قال: «**كيف بك يا عبدَالله بن عمرو إذا بقيتَ في حُثالةٍ[1] من الناس، مرجت عهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا فصاروا هكذا -وشبك بين أصابعه- (وفي رواية : «كيف بكم بزمان يُغرَبل الناسُ فيه غربلَةً») فقمتُ إليه، فقلت له : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: «الزم بيتَك، واملك عليك لسانَك، وخُذْ ما تعرفُ، ودَعْ ما تُنكِرُ، وعليك بأمر خاصَّةِ نفسِك، ودَعْ عنك أمر العامة**». [أخرجه أبو داود، والحاكم، وهو في «الصحيحة» (٢٠٥)]

(١) والحُثالةُ: الرديءَ من كل شيء.

فسارع أخي المسلم إلى العمل الصالح قبل تعذُّره -أو تعسُّره- بالإعْراضِ عما يحدث من الفتن المتراكمة كتراكم ظلام الليل، وصَاحِبْ أهلَ العلم الذين ينتهجون منهج السلف الصالح في فهم مجريات الأمور والوقائع، وإيَّاك والاستكبارَ عما قلتُ، فالله -تعالى- حسيب من بلغته الحُجَّةُ ولم يبادر إلى اتباع الحق.

روى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**إني على الحوض، حتى أنظرَ من يرِدُ عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا ربِّ! مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما بَرِحُوا يرجعون على أعقابهم**».

فكان ابن أبي مليكة راوي هذا الحديث عن أسماء يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجعَ على أعقابِنا، أو نُفتنَ في ديننا .

أصل الفتن وأسبابها

حدَّث مسلم بن أبي بكرة عن أبيه : «أن النبيَّ ﷺ مر برجل ساجد -وهو منطلق إلى الصلاة- فقضى الصلاة ورجع إليه وهو ساجد، فقام النبي ﷺ فقال : «**من يقتل هذا**»؟ فقام رجل فحسر عن يديه فاخترط سيفَه وهزَّه، ثم قال: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلاً ساجدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟! ثم قال: «**من يقتل هذا؟**»، فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعَيْه واخترط سيفَه وهزَّه حتى ارْعَدَّتْ يدُه، فقال : يا نبي الله كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؟! فقال النبي ﷺ: «**أما والذي نفسي بيده، لو قتلتموه لكان أول فتنةٍ وآخرَها**»، [أخرجه الإمام أحمد، وهو في «الصحيحة» (٢٤٩٥)]

فأصلُ الفتن كلها -كما ترى في نصِّ هذا الحديث- قائم على أمر خطير حذَّر منه النبيُّ ﷺ وهو فعلُ المحدَثات، وهي أنواعٌ؛ منها:

الاستقلالُ باعتقاداتٍ مخالفةٍ لَهَدْيِ النبوة، أو الانشطارُ بآراء وأفكار بعيدة عن هدي النبوة، أو الانشقاقُ بمبتدعات في العبادات ليس لها أصل في الدين، ولا هي من هَدْيِ النبوة.

وفي هذا الحديث أطال الفاعلُ -كما هو واضح- السجودَ لله منفرداً وهو مستحب، تاركاً لأمرٍ أهمَّ وهو صلاةُ الجماعة، فكان بهذا الفعل مبتدعاً في الدين، مُحدِثاً للشر، وهذا أمر خطير، حذَّر منه النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-.

كما أشار الحديث إلى أن التردُّد في تنفيذ قتل هذا المبتدع من قِبَل مَنْ أَمَرَهُما النبيُّ ﷺ، كان له مفاسدُه الكبرى -مِن جهة-، وإن كان له ما يسَوِّغه عندهما -من جهة أخرى-، إلا أنهما غفلا أن الأمرَ كان صادراً مِمَّن لا ينطقُ عن الهوى، ولو أنهما فعلاه لكان -كما قال النبيُّ: «أول فتنةٍ وآخرَها».

ذلك أن في الأمة من يقرأ القرآنَ لا يجاوز تراقيَهم، يمرقون من الدين كما يمرقُ السهمُ من الرميَّة ثم لا يعودون فيه، حتى يعود السهمُ من فُوقه[1]، فاقتلوهم، هم شرُّ البرية.

فقد أخرج الإمام أحمد (٣/ ١٥) عن أبي سعيد الخدري، أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! إني مررتُ بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشِّعٌ حسنُ الهيئة يصلي، فقال له النبيُّ ﷺ: «**اذهب إليه فاقتله**»، قال: فذهب إليه أبو بكر، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتلَه، فرجع إلى رسول الله ﷺ قال: فقال النبيُّ ﷺ لعمر: «**اذهب فاقتله**»، فهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر، قال: فكره أن يقتلَه، قال: فرجع، فقال: يا رسول الله! إني رأيته يصلي متخشِّعاً فكرهتُ أن أقتله، قال: «يا علي! **اذهب فاقتله**»، قال: فذهب علي فلم يَرهُ، فرجع عليٌّ فقال: يا رسول الله! إنه لم يره، فقال ﷺ: «**إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآنَ لا يجاوزُ تراقيَهم، يمرقون من الدين كما يمرقُ السهم من الرميَّة ثم لا يعودون فيه، حتى يعودَ السهم من فُوقه، فاقتلوهم، هم شرُّ البرية**»، قال الهيثمي في «الزوائد» (٦/ ٢٢٥) : «رواه أحمد ورجاله ثقات»، والحديث حسَّنَه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٦٥٩).

لقد حذَّر الله -تعالى- من مخالفةِ شرعه، ومعصيةِ قول نبيِّه ﷺ، فإن مخالفة الكتاب

(١) فُوقُ السهم: موضعُ الوترِ منه.

والسنة الصحيحة من أكبر الفتن، بل هي أصلُ الفتن.

وبناءً على هذا الذي أشرتُ إليه كانت فتوى الإمامِ مالكٍ -رحمه الله- لرجل أراد أن يحرم قبل ذي الحُليفة -وهو المكان الشرعي للإحرام-: «لا تفعل؛ فإني أخشى عليك الفتنة»، فقال: وأيُّ فتنةٍ في هذه؟! إنما هي أميالٌ أزيدها، قال: «وأيُّ فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصَّر عنها رسولُ الله ﷺ، إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾». [النور:٦٣]

قال ابن أبي العز الحنفي شارح «العقيدة الطحاوية» ـ رحمه الله ـ : «فالواجبُ كمالُ التسليم للرسول ﷺ والانقيادُ لأمره، وتلقي خبره بالقَبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نُحمِّلَه شبهةً أو شكًّا، أو نُقدِّمَ عليه آراءَ الرجال وزُبالةَ أذهانهم، فنُوحِّدَهُ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نُوحِّدُ المرسِلَ بالعبادة والخضوع والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة من عذاب الله بهما: توحيدُ المُرسِل، وتوحيدُ متابعة الرسول».

لذا فينبغي على المسلم المبادرةُ والمسارعةُ -وقبل فوات الأوان- إلى الأعمال الصالحة، وألا يَغفُل عنها، ومعلوم أن الأعمال لا تعتبر صالحة إلا إذا قامت على التوحيد والإخلاص لله -تعالى- وتوحيد متابعة رسوله ﷺ علماً وعملاً، وإلا فإن الإخلال بأحدهما يفتح بابَ الفتن الذي لا تُحمد عُقباه.

فقوله ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا..**» الحديث، و«**بادروا بالأعمال ستًا..**» الحديث، يعني: أن مَن فاتته المبادرةُ قبل حدوث الفتن أو توسُّعها، وقبل ظهور هذه الأمارات التي أشار إليها النبيُّ ﷺ فلا يلومنَّ إلا نفسه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

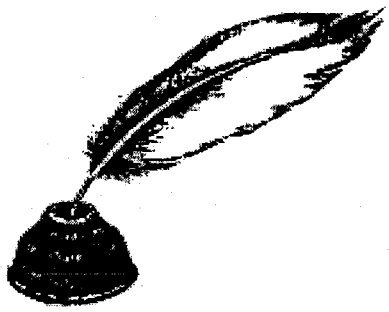

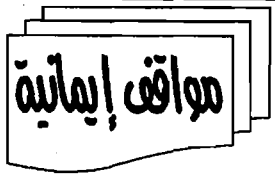

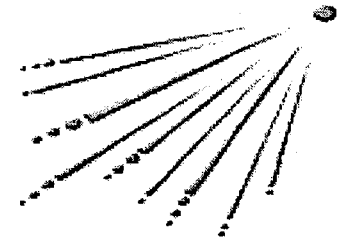

ثبات أهل الإيمان في الفتن

• بقلم: فضيلة الشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد

إنَّ الفتنَ الملمَّة، والأحداث المُدلهمَّة إذا حلَّت بالناس ونزلت بهم أظهرت حقائقَهم، وكشفت معادنَهم، وميَّزت طيِّبَهم من خبيثِهم، وحسنَهم من سيِّئهم، ولله الحكمةُ البالغةُ في ذلك، ليَميزَ الخبيثَ مِن الطيِّب، وهذه من حكمة الله في ابتلائه خلقَه، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

والحياةُ كلُّها ميدانُ ابتلاء ودارُ امتحان، والناسُ فيها ليسوا سواءً، فمنهم من يعبدُ الله على حرف، فإن أصابه خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابته فتنةٌ انقلبَ على وجهه، خسر الدنيا والآخرة، وذلك الخسرانُ المبين، ومنهم من يعبدُ اللهَ على علم وبصيرة وإيمان راسخ وعقيدة صحيحة، فإن أصابته فتنةٌ صبر فكان خيراً له، وهذا لا يكون لأحد إلاَّ للمؤمن، فأمره كلُّه خير، وأحواله كلُّها حسنة طيِّبة، وعواقبُه كلُّها حميدة، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

إنَّ للإيمان الصحيح والعقيدة السليمة أثراً قويًّا ودوراً بارزاً في التغلُّب على الأحداث والملمَّات، والمصائب والمِحن، والنوازل والفتن، ذلك أنَّ صاحب الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة تعلَّمَ من دينه أموراً مهمَّة، ودروساً عظيمةً تُعينُه على الثبات في الأحوال، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن أهم هذه الأمور ما يلي:

أولاً: أنَّه يعلمُ علمَ يقين لا يخالطه شكٌّ ولا يداخله ريب أنَّ خالقَ هذا الكون وموجدَه ومدبِّرَ شؤونه هو الله وحده لا شريك له، وأنَّه وحدَه المتصرِّفُ فيه، وأنَّه لا يكون فيه إلاَّ ما شاء الله -تبارك وتعالى-، فَأَزِمَّةُ الأمور كلِّها بيده، ومقاليد السموات والأرض كلُّها له، فما شاء الله كان وما لم يشأ

لم يكن، فللّه ملكُ السموات والأرض وما فيهنَّ وهو على كلِّ شيء قدير.

ثانياً: إنَّ الله -جلَّ وعلا- تكفّل بنصر أهل الإيمان، وحفظ أهل الدِّين، ووعد بذلك ووعدُه الحق، وأخبر بذلك في كتابه، وكلامه صدقٌ وحقٌّ، قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٧-٨]، وقال -سبحانه-: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال -تعالى-: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٦].

ثالثاً: إنَّ الله وعد في كتابه بخِذلان الكافرين، وإبادتهم، وقصم ظهورهم، وقطع دابرهم، وجعْلهم عبرةً للمعتبرين، وعظةً للمتَّعِظين، كما قال -تعالى-: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [التوبة: ٩٨]، وشواهد ذلك في التاريخ كثيرة لا تُحصى، وعديدة لا تُستقصى، فهو -سبحانه- يملي للظالم ولا يهمل، وإذا أخذه أخذه بغتة، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

رابعاً: إنَّ المؤمن يعلم أنَّه لن تموتَ نفسٌ حتى تستوفيَ أجلَها وتستتمَّ رزقَها، فلن يموت أحدٌ قبل منيَّته ولا بعدها ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، فالآجال محدَّدة، والأعمار مؤقَّتة، ولكلِّ أجلٍ كتابٌ، ولكلِّ نفس ميعاد، ولا يحول بين المرءِ وبين أمرِ الله شيءٌ؛ كما قال -تعالى-: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾ [النساء: ٧٨] فلا القصورُ المنيعة تحمي، ولا السراديبُ الخفية تقي، ولا البروج المشيدة تمنع.

خامساً: إن المؤمن لشدَّة ثباته وقوة يقينه لا تزعجه الأراجيفُ، ولا تخوِّفه الدعاياتُ؛ بل إنه إذا خُوِّف بالذين من دون الله زاد إيماناً وثقة بالله وتوكُّلاً واعتماداً عليه، كمثل الصحابة -رضي الله عنهم- ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّه قال: حسبنا الله ونعم

الوكيل، قالها إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل[1]، ومعنى حسبنا الله، أي: كفينا.

سادساً: إنَّ صاحب الإيمان الصحيح لا يعتمد في أموره كلِّها إلاَّ على الله وحده، ولا يفوِّض أموره إلاَّ له، ولا يتوكَّل إلاَّ عليه، ولا يستعين إلاَّ به، قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]؛ ولهذا كان من دعائه ﷺ - كما في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّه كان يقول: «اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، اللهم أعوذ بعزَّتك لا إله إلاَّ أنت أن تضلَّني، أنت الحيُّ الذي لا يموت، والإنس والجنُّ يموتون»[2]، وضرب في السيرة العطرة أروعَ الأمثلة وأبلغَها في الثقة بالله وشدَّة الاعتماد عليه، ومن ذلك -على سبيل المثال- ما ثبت في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: أنَّه غزا مع النبيِّ ﷺ فأدركتهم القائلةُ في وادٍ كثير العِضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرَّق الناسُ يستظلّون بالشجر، ونزل رسول الله تحت سمرة فعلَّق بها سيفَه، ونِمْنا نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: «إنَّ هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو في يده صلتاً، قال: من يمنعك مِنِّي؟ قلت: الله» -ثلاثاً-، ولم يعاقبه وجلس[3].

فتأمَّل هذا الثبات العظيم والثقة الكاملة بالله -تعالى-، فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين.

سابعاً: إنَّ المؤمن يعلم أنَّ التوكّلَ الحقيقيَّ لا يتمُّ إلاَّ بأمرَيْن اثنَيْن لا بدَّ منهما:

الأول: اعتمادُ القلب على الله، واستنادُه إليه، وسكونُه إليه، كما قال ابن القيم -رحمه الله-، بحيث لا يبقى فيه اضطرابٌ من تشوُّش الأسباب ولا سكونٌ إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويلبسه السكون إلى مسبِّبها وهو الله.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٥٦٣).

(٢) رواه البخاري رقم (٧٣٨٣)، ومسلم رقم (٢٧١٧)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري رقم (٢٩١٣)، ومسلم رقم (٨٤٣).

وعلامةُ هذا: أنَّه لا يبالي بإقبالها وإدبارها ولا يضطربُ قلبُه ويخفقُ عند إدباره ما يحب منها وإقبال ما يكره؛ لأن اعتمادَه على الله وسكونه إليه، واستناده إليه.

والثاني: إثبات الأسباب والقيام بها، وقد كان سيِّد المتوكِّلين وإمامُهم وحاملُ لوائهم محمدٌ ﷺ يقوم بفعل الأسباب، وما أخلَّ بشيء منها، فقد ظاهر بين درعَيْن يومَ أُحُد، واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه يدلُّه على الهجرة، وكان يدَّخر القوتَ لأهله، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزادَ معه، وجميع أصحابه كانوا كذلك، فهم أولو التوكِّل حقًّا.

فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكُّل، ومن اعتمد على الأسباب لم يكن من أهل التوكُّل، والأمر كما قال بعضُ أهل العلم: «الالتفاتُ إلى الأسباب شركٌ في التوحيد، ومحوُ الأسباب أن تكون أسباباً نقصٌ في العقل، والإعراضُ عن الأسباب بالكليَّة قدح في الشرع، وإنَّما التوكُّل والرجاء معنى يتألَّف من موجب التوحيد والعقل والشرع».

ثامناً: ثمَّ إنَّ المؤمن في الأمور الملمَّات والأحوال المدلهمَّات يجد من قلبه إقبالاً شديداً على الله، وانكساراً بين يديه وخضوعاً له، فتراه مقبلاً على الله بالدعاء والسؤال والرجاء أن يجنِّبَ المسلمين الفتن ويخلِّصَهم من المِحن، والله -تبارك وتعالى- قريب من عباده يسمعُ نداءهم، ويجيبُ دعاءَهم، ويغيثُ ملهوفهم، ويجبر كسيرهم، ويكشف مصيبتَهم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، لا أحد غيره -تعالى-، فمن سأله بصدقٍ وإخلاصٍ وعزيمةٍ ورجاءٍ أجابَ دعاءَه، وحقَّقَ رجاءه، فهو القريبُ المجيبُ -سبحانه-.

ولربَّما انكشف ما يحلُّ بالمسلمين من بلاء وما ينزلُ بهم من محِن بدعوة صالحة من رجل صالح في لحظة انكسار وساعة إجابة، فالدعاءُ أمرُه عظيم وشأنُه جليل.

والله المسؤول وحدَه أن يجنِّبنا والمسلمين الفتنَ، ما ظهر منها وما بطن، فلا إله إلا الله وحدَه، نصر عبدَه وأعزَّ جندَه، وهزم الأحزاب وحدَه.

وصلى الله وسلَّم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ميزان الوحي والفقه

• بقلم: فضيلة الشيخ سعد الحصين

٣) والغزالي وابن عربي- كما سبق- هما أعلم وأشهر المتصّوفة، والمتأخّرون منهم عالةٌ عليهما، بل لا يُحْسِنُون الأخذ عنهما ولا يطمحون إلى درجاتهما الدّنيا.

د.محمد بن علوي المالكي، درّس في جامعة أمّ القرى وفي المسجد الحرام ثم بدا له أن يُظْهر ما كان يُخْفي من معتقده ومنهجه الصّوفي ويترك طريق العلماء؛ حتى سمّاه زميله د.سفر الحوالي -هداه الله- (مجدد رحلة عمرو بن لُحَيّ) في عنوان له في الردّ على المالكي، لأنه أوّل من اعتدى على حِمَى التوحيد في بلاد التّوحيد.

وقال عنه ابن عَمِّه الشيخ سمير المالكي -أثابه الله- في ردّه على محمد بن علوي بعنوان (جلاء البصائر): «عَمِد إلى أصل هذا الدّين ورَأْسه وهو توحيد الله بنوعَيْه: الخبرِ والطّلبِ، فَنَقَضَه ودكّ بنيانه من أساسه، وافترى على الله ورسوله ﷺ وعلى الملائكة الكرام الكاتبين، واجترأ على الكتاب العزيز فحّرف الكَلِم عن مواضعه واعترض على أحكامه»، وخصّ بكتابه هذا الرّدّ على طامات ابن عمِّه في «الذخائر المحمدية»، و«شفاء الفؤاد» مثل:

- لا ملجأ ولا منجى لابن علوي إلا النّبيُّ ﷺ، مخالفاً ما ثبت من دعائه اللهَ -تعالى-: «اللهم لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك»؛ يقول ابن علوي الصّوفي:

(يا سيدي يا رسول الله خُذْ بيدي
ما لي سواك لا ألوي على أحد)

[«الشفاء» (ص ٢٠٣)]

(فأقِلْ عِثار عُبَيْدك الداعي الذي
يرجوك إذ راجيك غير مُخَيَّب

واكتب له ولوالديه براءة

من حرِّ نار جهنّم المتلهّب)

[«الشفاء» (ص ٢١٢)]

(فالآن ليس سوى قبر حَلَلْتَ به

منجي الطريد وملجا كلّ متصم)

[«الشفاء» (ص ١١٤)]

والله -تعالى- يقول: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

(عجّل بإذهاب الذي أشتكي

فإن تَوَقَّفْتَ فَمَنْ ذا أسأل)؟

[«الذخائر» (١٥٨)]

وعلى هذا المنوال أَخَذَ ما خصّ الله به نفسَه فجعله للنبي ﷺ؛ يقول ابن علوي لنبيّنا ﷺ:

(كلما لُحْتَ للملائك خرّوا

في السّموات سجّداً وبكيّا)

والله -تعالى- يقول: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

ويقول ابن علوي لنبيّنا ﷺ:

(ومدَدْتَ الأكوان شرقاً وغرباً

مَدَداً في كيانها كلّيّا)

والله -تعالى- يقول: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

ويقول الله -تعالى- عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

فيقول ابن علوي لنبيّنا ﷺ: «السّلام عليك يا أوّل، والسّلام عليك يا آخِر، والسّلام عليك يا ظاهر، السّلام عليك يا باطن» [«الشفاء» (ص ١٢٠)].

ويقول الله -تعالى-: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

فيقول ابن علوي لنبيّنا ﷺ: «لك وجهي وجّهت يا أبيض الوجه»، [«الذّخائر» (ص ١٦٦)].

ويقول الله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فيقول ابن علوي: «إنّ للنبيِّ ﷺ كلّ أسماء الله الحسنى» [«الشفاء» (ص ١٢٦)].

ويقول الله -تعالى- عن نفسه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ وهي الخَمْسُ؛ عند أحمد والبخاري وغيرهما.

فيدّعي ابن علوي أن محمداً ﷺ: «أوتي علم الخَمْس» [«الذخائر» (ص ٢٥)].

وهذه أمثلة قليلة من ردّ الشيخ سمير المالكي -أثابه الله- على ابن عمّه محمد بن علوي المالكي إضافة إلى ردود كبار العلماء الدّعاة على ضلالات أخرى يصعُب حصرها، وقد امتنع إمام المسجد الحرام من الصّلاة عليه لأنه لم يُظْهر توبتَه قبل الموت، فأُخِّرَتْ جنازتُه إلى الليل حتى تدخل مع جنائزَ أُخَرَ كما كان النّبيُّ ﷺ يستغفر لأهل البقيع (وفيهم مشركون)، ولكنه لا يَعْني باستغفاره إلاّ المؤمنين والمسلمين.

وهذه نادرة خُصَّ بها ابن علوي -في رفض الصلاة عليه منفرداً- لا أعلم أنّها حدثت لغيره ممن لم يُظْهروا ما أظْهره.

٤) ومِنْ أحْدَث من دعا إلى بِدَع المتصّوفة (مِنْ عبادة أوثان المقامات والمزارات إلى الاحتفال بالمولد): د.عبد الغفار الشريف -هداه الله- الذي كان عميداً لإحدى كلّيّات الشريعة، واللقب الدّراسي الغَرْبي وعمادة كلّية الشريعة في بلدٍ عربي لم ترفع مبتدعاً آخَر من حزب الإخوان مستوى جماعة التّبليغ العوامّ: زاروه قبيل ذي الحجة ليكسبوا رضاه (كما تعودوا!) فسألوه سؤالاً يعرف جوابه أقلّ الناس علماً: (ماذا يُسَنّ للمضحّي؟) ولما عجز عن الجواب حاول أحدهم أن (يفتح عليه) فقال: هل يُسَنّ له ألاّ يأخذ من شَعْره شيئاً في الأيام العشر، فضحك الدّكتور العميد عجباً من جَهْل السّائل ثم رأى ألاّ يكتم العلم فقال: (الصّحيح أنّه لا يَأْخُذ من شَعْر الخروف شيئاً)!!

- يقول د.عبد الغفار في برنامج (الحياة عبادة) التّلفزيوني: «إذا كان الذي يطوف حول القبر يعبد القبر؛ فالذي يطوف حول الكعبة يعبد الكعبة!» ويعجز عن إدراك الفرق بين عبادة عملية شرعها الله في الكتاب والسّنّة، وبين عبادة عمليّة وثنية لم يأذن بها الله، بل نهى عنها -سبحانه-.

- ويقول دفاعاً عن الأوثان والأنصاب المسمّاة في هذا العصر: (مزارات ومقامات) وهي أوثان وأصنام الجاهلية الأولى من قوم نوح كما ذكر البخاري في «صحيحه» وابن جرير في «تفسيره» من تفسير ابن عباس ترجمان القرآن عن أوثان وأصنام قوم نوح في قول الله -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]: «أولئك أسماء رجال صالحين لما ماتوا أوحى الشيطان إلى مَنْ بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً».

يقول د.عبد الغفار -أغناه الله بالسّنّة عن البدعة-:

- (الصّحابة لم يكسروا الأصنام مثل أبي الهول في مصر).

وأبو الهول كان مطموراً في التّراب ولم يُنبَش إلاّ في العصر الحديث، بل إن كسرَ أنفه يدلُّ على محاولات سابقة لتحطيمه، ولم يُعْبد شيء من الآثار في مصر وبلاد الشام، وإلاّ لأزيل كما ورد عن عمر -رضي الله عنه- قَطْعُ شجرة البيعة -وليست تمثالاً ولا صورة- لما رأى من اتجاه بعض الجاهلين للتّقرّب إلى الله بالصّلاة عندها.

- ويقول: «النّبي ﷺ مرّ على مدائن صالح ولم يكسر أصنامها».

ولا يظهر في مدائن صالح إلاّ بيوتُ الظالمين كما قال الله -تعالى- عن مِثْلِهم: ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ومع ذلك منع النّبيُّ ﷺ أصحابَه من الدّخول إليها إلاّ باكين لئلا يصيبَهم ما أصابهم، وأمرهم أن يُهريقوا الماءَ الذي استقوه منها، ويُلْقُوا العجينَ الذي عجنوه من مائها أو يعلفوه الدّوابَّ (متفق عليه)، وسار ولاةُ الأمر في دولة الدعوة إلى منهاج النّبوة على خُطا الرّسولِ الأسوةِ الحسنةِ، فألزموا من سَكَنها من البدو بالرّحيل عنها.

وليس فيها أصنام تُكْسَر كما ظنّ الدكتور العميد -سابقاً- أو تُعْبد، ولو وُجِدَت الأصنام وخَطَرَ عبادتها (كما يتقرّب كثير من المنتمين للإسلام بأوثان المقامات والمزارات) لكُسِرت كما فُعِل بكلّ الأوثان الحديثة في جزيرة العرب، بل كان اثنان منها صنمَيْن هُدِما في عصر النّبوّة باسم (ذي الخلصة) في تبالة لخثعم، وفي زهرانَ لدوسٍ، ثم قاما بعد فتنة الفاطمّيين فلم يُهْدما إلاّ في الدّولة السّعوديّة الأولى في بداية القرن الثالثَ عشر وفي الدولة السّعودية الثالثة في منتصف القرن الرّابعَ عشر تقريباً، وكان النّبي ﷺ قد أخبر بقيامها قبل قيام السّاعة -فيما رواه البخاري ومسلم-.

وقد يكون لكلام الدكتور معنًى لو وجّهه إلى ابن لادن والظواهري وطالبان من دُعاةِ الفكر والحركيّة والحزبيّة الذين اهتموا بهدم صنمَيْ بوذا النّائيَيْن المهجورَيْن وأبقوا أوثان المنتمين للإسلام والسّنّة.

- ادّعى د.عبد الغفار أن الله احتفل بولادة النبيِّ ﷺ بحُجّة حديث مرسل وَصفه بالصّحيح عن تخفيف العذاب عن أبي لهب يوم الاثنين لفرحه بولادة النبيِّ! ولو صحّ الحديث لما قامت به حجّة؛ لأنّه رواية عن مجهول أنه رأى أبا لهب في المنام، ورواية المنام (لو صحّت) لا يُحتّج بها في الدّين عامّة فكيف بالعبادات؟! واعجبْ لصوفيّ يأخذ بحديث ضعيف عن مجهول عن منام، ويتركُ سورةً محكمةً في القرآن (المسد).

- واحتج د.عبد الغفار بصيام الاثنين وسجود الشكر، والقياس على مشروعيّة

الاحتفال بمولد النبيِّ ﷺ، والمتصّوفةُ والمبتدعةُ عامّة لا يصومون الاثنينَ الثابتَ، وإنما يحتفلون بالثاني عشر من ربيع الأول الذي لم يثبت، ولو أُطْلِق للمبتدعة (القياس) لأحدثوا كثيراً من العبادات والعقائد شرعاً من الدّين بغير إذن الله.

- ولم يقل د.عبد الغفار: هل فعل ذلك النبيُّ ﷺ، أو أحدٌ من أصحابه، أو أحدٌ من فقهاء الأمّة في القرون المفضلة؟ وهل أمر به النّبيُّ ﷺ أو أقرّه؟ وهل أكمل الله الدّين قبل موت النّبيِّ ﷺ، أو لا يزال في حاجة إلى متصّوف ليكمله؟ وهل يُعلم أنّ الاحتفال بالمولد لم يُعْرف قبل الفاطميّين المُفسِدين؟

- يّدعي د.عبد الغفار أن فتاوى سدّ الذريعة لا تخرج إلاّ من مجتمع منغلق بدوي، وأن فتاوى الأريحيّة [بِسَنٍّ -بل إيجاب- العمل بالبدع] تخرج من مجتمع متحضّر.

وإذا كان يعني بالبداوة عدمَ الاهتمام بمتاع الدّنيا، فضلاً عن الآثار والبدع الموصوفة بالإسلامية فقد صدق؛ كان حظُّ عصر النّبوة من متاعِ الدّنيا قليلاً، وقد شرع بإذن الله سدّ الذرائع، فلعن من اتّخذ القبورَ مساجد، وعدّ من الشرك قولَ: (ما شاء الله وشئت) ولو كان القائل صحابيّاً، وقال لأصحابه إذْ رغبوا العكوفَ على الشجرة، وتعليقَ أسلحتهم مثل ما يفعل المشركون بذات أنواط- أنّهم قالوا له مثلما قال بنو إسرائيل لموسى -عليه السّلام-: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

أمّا المجتمعاتُ المتحضِّرة فكانت وثنيّةً في أكثر أحوالها: الهندوس، والبوذيّون، الفراعنة، اليونانيّون، الرّومان، الصّينيّون، الإنكا، وغيرهم.

وليت المُفكّرين الإسلاميين يعقلون أنّ الشرع يؤخَذُ من الوحي بفهم سلف الأمّة في القرون المفضلة لا من المنامات، ولا من الفكر، ولا من مقاييسَ عصريةٍ للبداوة والحضارة، وإلاّ فيا حسرة على العباد إذا تركوا اليقين وركبوا الظن.

وبعد:

فإني أحسن الظن بنيّة أكثر من ذكرْتُ مهما أدركْتُ من سوء أقوالهم وأعمالهم كقول الله -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، ولعل الأمواتَ منهم تابوا إلى الله قبل أن يحضرهم الموتُ، وأرجو الله أن يهديَ الأحياءَ منهم ومن غيرهم، ويهديني لأقربَ من هذا رشدًا.

في الدعوة إلى الله

مشروعية الدعوة إلى الله من خلال العمل الخيريّ وأهميته

• بقلم: الشيخ أبي عبدالله المزروعي

المطلب الأوّل: الدعوة إلى الله في القرآن الكريم والسنّة النبويّة:

المقصد الأوّل: مشروعيّة الدعوة إلى الله في القرآن الكريم:

إنّ الدعوة إلى الله من أشرف الأعمال، وأجلّها عند الله -عزّ وجلّ-، فهي عمل أشرف البشر وهم الأنبياء، ووظيفتهم التي أُرسِلوا بها ليُطهِّروا الأرضَ من الشرك، والعبودية لغير الله[1].

فلم تَخْلُ أمّة من الأمم من وجود رسول يدعو فيها إلى الله، ويُذكّر النّاس بربّهم، ويوجّههم إلى عبادة الله وحدَه، ونبذ ما سواه، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال -تعالى- مخاطباً نبيَّه ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، «أي: وما من أمّة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله -تعالى- إليهم النُّذُرُ وأزاح عنهم العِلَلَ»[2].

---

(١) أول ما وقع الشرك من بني آدم في الأرض كان في قوم نوح، فأرسل الله لهم نبيّه نوحاً -عليه الصلاة والسلام- يدعوهم ويذكّرهم فكان أولَ رسول، انظر: «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير (٢/ ٥٨٩).

- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيّم (٢/ ٢٦٢) ط١ / ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الأنصار- القاهرة.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٦٠)، ابن كثير.

ومن هؤلاء الأنبياء الذين كانوا دُعاةً إلى الله وذكرهم -جلّ وعلا- في كتابه العزيز - أولو العزم من الرُّسل- وهم: نوح، وإبراهيم وموسى، وعيسى، ومحمّد -عليهم الصلاة والسلام-.

قال الله -تعالى- عن نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح:١].

وقال -تعالى- عن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وقال الله -تعالى- عن موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [ابراهيم: ٥].

وقال الله -تعالى- عن عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٤٩].

وختم الله -تعالى- الأنبياء بنبيه محمّد ﷺ، قال -تعالى-: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقد أرسله ليكون داعياً إليه، قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ و٤٦]، وكلفه الله -عزّ وجلّ- بالدعوة إليه، وتبليغ أمره، فقال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾الآية [المائدة: ٦٧]، وقال -تعالى-: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآية [الحج: ٦٧]، وقال -تعالى-: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وقال -تعالى-: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الآية [الشورى: ١٥].

وأمر الله -تعالى- نبيّه ﷺ أن يدعوَ إليه بالحكمة، قال -تعالى-: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وهذه الحكمة تقتضي أنَّ «من احتاج منهم إلى مناظرة، وجدال، فليكن بالوجه الحَسَن، برفق[1]، ولين[2]، وحسن خطاب»[3]، ولا ريب أن في هذا الأسلوب أثراً عظيماً في تحقُّق استجابة المَدْعُوِّ؛ لأنه يشعر بأن الذي يدعوه إنما يريد له الخيرَ عندما يعامله بمثل هذه المعاملة، ويتلطف معه في العبارة[4].

وبيّن -تعالى- حقيقة ما يدعو إليه النبيّ ﷺ، فقال -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، «صراط مستقيم، وسهل على العاملين لاستقامته، مُوصِل إلى المقصود من قرب.

فشريعة الإسلام -حنيفيّة سمحة، حنيفيّة في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إيّاهم إلى الصراط المستقيم، توجب لمن يريد الحقّ أن يتبعك؛ لأنه مما تشهد العقول، والفِطَر بحسنه، وموافقته للمصالح»[5].

وحثّ الله -جل وعلا- أهل الإيمان على الاستجابةِ لهذه الدعوة المباركة، والتي فيها خير عظيم لهم؛ تحقيقاً للحياة النافعة، فقال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فمن أراد أن يكون من أصحاب الحياة النافعة، فليستجب لهذه الدعوة؛ لأن «الحياة

---

(١) الرفق: ضد العنف، ويتضمّن لين الجانب، ولطافةَ القول والفعل، والأخذ بالأيسر، «من صفات الداعية اللين والرفق» للدكتور فضل إلهي (ص٨ - ط٢/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م) مطبعة سفير - الرياض.

(٢) اللين: يتضمّن لينَ الجانب، وحسنَ الخلق، وكثرةَ الاحتمال، وعدمَ الإسراع بالغضب والتعنيف إذا بدر من المسلمين خطأ. المرجع السابق (ص٧-٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير (٢/ ٦١٣).

(٤) للاستزادة حول موضوع الحكمة في الدعوة إلى الله -تعالى- يراجع كتاب: «الحكمة في الدعوة إلى الله» سعيد بن وهف القحطاني، فقد تناول فيه الباحث مفهومَ الحكمة وضوابطها، وذكر مواقف الحكمة في سيرته ﷺ، وسيرة من بعده من الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين وبعض أهل العلم -رحمهم الله-، كما بيّن كيف تكون حكمة القول مع المَدْعُوِّين باختلاف عقائدهم، ومتى يمكن أن يلجأ الداعية إلى استخدام القوة الفعليّة مع مختلف الناس.

(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٠٥). ابن سعدي.

النافعة إنَّما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيميَّة مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقيَّة الطيبة هي حياة من استجاب لله ورسوله -ظاهراً وباطناً-؛ فهؤلاء هم الأحياءُ وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياءَ أبدانٍ، ولهذا كان أكملُ الناس حياةً أكملَهم استجابةً لدعوة الرسول ﷺ»(١).

لقد بذل الرسول الكريم ﷺ جهداً عظيماً في سبيل تبليغ دعوته، وكان يحزن حزناً شديداً على من لا يستجيب لدعوته، وقد بيَّن ربُّنا -تبارك وتعالى- حال النبيِّ محمدٍ ﷺ فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال -تعالى-: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣].

فالله -جل وعلا- كلف نبيَّه محمداً ﷺ بالدعوة إليه، ولم يطالبه بالنتائج، بل إن دوره الحقيقيَّ هو تبليغ أمر ربِّه -جل وعلا-، وذلك هو ما بيَّنه ربُّنا -تبارك وتعالى- في تحذيره أولئك المعاندين الرافضين للاستجابة لطاعة الله ورسوله فقال -تعالى-: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال -تعالى-: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، «يعني تبليغ الرسالة، وليس عليك هداهم»(٢)؛ فأمْرُ الاستجابة وحصول الهداية بيد الله وحده لا يملكه أحد، قال -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

لقد كانت الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم

---

(١) «التفسير القيم» (٢٨٨)، لابن القيم.

(٢) تفسير الخازن المسمى: «لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/ ٢٣٣)، لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن.

صفاته وأجلها ﷺ التي ذُكرت في التوراة والإنجيل [1]، -قال تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧].

وأفراد هذه الأمة مأمورون بالتأسيّ برسول الله ﷺ في كل أمر، قال -تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].، ومن أعظم التأسيّ برسول الله ﷺ: الدعوةُ إلى الله -تبارك وتعالى-.

والله -جل وعلا- أمر نبيَّه ﷺ أن يُبيِّن أن الدعوةَ إلى الله سبيلُه وطريقتُه، وهي كذلك سبيل كل من اتبعه، قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠٨]، وفي هذه الآية الكريمة بيان واضح وصريح بأن أتباع النبيِّ محمدٍ ﷺ عليهم أن يدعوا إلى الله كما دعا رسول الله ﷺ [2].

إن وظيفة الدعوة إلى الله -تعالى- كرامةٌ من عنده -سبحانه وتعالى-، ومنّةٌ عظيمةٌ على هذه الأمّة حيث خصَّها بها، وميَّزها عن سائر الأمم، وفضَّلها عليهم بها[3]، قال -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠]، فعلّةُ خيريّة هذه الأمّة القيامُ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قدّم الله -عزَّ وجل- ذكرَه على الإيمان بالله؛ لأنّ «الإيمان بالله أمر يشترك فيه جميع الأمم المؤمنة، وإنَّما فُضِّلت هذه الأمّة الإسلاميّة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم، وإذا كان كذلك كان المؤثِّر في هذه الخيريّة هو الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) انظر «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٦٨).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير (٢/ ٥١٣-٥١٤)، و«فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير»، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (٣/ ٥٧).

(٣) انظر «فتح القدير» الشوكاني (١/ ٤٧٢).

المنكر، وأما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم؛ لأنه ما لا يوجد الإيمان لم يعد شيء من الطاعات مقبولاً، فثبت أن المُوجِبَ لهذه الخيريّة لهذه الأمّة هو كونُهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر»(١).

لقد جعل الله -تبارك وتعالى- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب الفلاح، قال -تعالى-: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، وليس هذا الفلاح لطائفة بعينها، بل «يدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدُّون للخطابة ووعظ الناس عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات، فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامَّة أو خاصَّة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة»(٢).

ولمّا ذكر الله -جلّ وعلا- في كتابه العزيز صفاتِ أهل الإيمان الذين هم أهل الجِنان، ذكر من صفاتهم: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال -تعالى-: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

وعباد الله الصالحون إذا مُكِّنوا في الأرض كان الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من أهمِّ ما يحرصون عليه، قال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج:٤١]، وهذه الآية تشمل الحاكم، والمحكوم، قال عمر بن عبدالعزيز(٣) -رحمه

---

(١) «تفسير الخازن» علاء الدين البغدادي (١/ ٢٨٥).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» ابن سعدي (ص١١٢).

(٣) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن قُصي بن كِلاب، القرشي، الأموي، ثم المصري، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، الخليفة الراشد،

الله تعالى- وهو يخطب بهذه الآية: «ألا إنها ليست على الوالي وحدَه، ولكنها على الوالي والمُوَلَّى عليه»(١).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من صفات الرجال المؤمنين فحسب، بل من صفات النساء -أيضاً- حسب قدرات كل فئة وأمكاناتها وَفق الضوابط الشرعيّة(٢)، والتي يختلفون بها عن أهل النفاق، قال -تعالى-: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٦٧]، ثمَّ بيّن المولى -تبارك وتعالى- بعدها من صفات أهل الإيمان ما يخالف صفات المنافقين، فقال -تعالى-: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٧١]؛ كما قال بعضُ الكُتّاب: «فالأمر والنهي لا يكونان إلا حيث يكون إيمان، وليس الإيمان إلا عقيدة وسلوك في بضع وسبعين شعبة(٣) من أخلاق الإسلام؛ كلّها تعمل في سبيل إرساء قواعد أمّة الإسلام على أسس من الأصالة والثبات والحياة السعيدة؛ لأنّ هذه الشعب الإيمانيّة تشمل كل النشاطات الإنسانيّة . . . والأمّة التي

تولّى الخلافة سنة (٩٩هـ)، وتوفي -عليه رحمة الله- سنة (١٠١هأ)، انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٧).

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٢٣٧).

(٢) للاستزادة حول موضوع دور المرأة في الدعوة إلى الله يراجع كتاب «المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة» د. أحمد بن محمد بن عبدالله أبا بطين، تحدث الباحث في الفصل الثاني من الباب الأول عن: مسؤولية المرأة الدعوية، وفي الفصل الثالث تناول: أهمية قيام المرأة بالدعوة إلى الله.

ويراجع كتاب «مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء النصوص وسير الصالحات» د. فضل إلهي، فقد بيّن فيه الباحث أهمية قيام النساء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أورد فيه نماذج لقيام المرأة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخاري ومسلم.

تسودها شعب الإيمان تهبّ إلى الأمر بها، والنهي عمّا يضادّها، حرصاً على مميزات أخلاق الإيمان، وأثرها في سعادة الإنسان، وفي قوّة الأمّة كلها، ومن هنا لا يوجد إيمان إلا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لازماً له، وخاصّة من خواصّه لا تنفك عنه، ولمّا كانت سنّة الله -تعالى- قد جرت على أن يتآلف المتّقون في التكوين والهدف، والخلق، واطّرد ذلك في الإنسان، والحيوان، والوحش، والطير، كانت الوَلايةُ بين المؤمنين قائمةً، والتعاونُ وثيقاً في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كانت الوَلايةُ قائمةً والتعاونُ وثيقاً بين المنافقين أيضاً، ولكن في مجال الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، تبعاً لأخلاقهم المنتكسة التي أَلِفَت الظلام فنفرت من النور».

كما بيّن المولى -تبارك وتعالى- أن كثيراً من الكلام الذي يتكلمه الناس لا خير فيه، ولا فائدة منه، ثم استثنى منه -جل وعلا- ما كان فيه حثٌّ على فعل الخير، مثل الصدقة، أو المعروف، أو الإصلاح بين الناس، قال -تعالى-: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقد أمر المولى -تبارك وتعالى- بالإحسان في القول، فقال -تعالى-: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ومن القول الحسن الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر(١).

فما أعظمَ منزلة الدّاعي إلى الله، الذي بيَّن -سبحانه وتعالى- أنه لا قول أحسن من قوله، فقال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وفي هذه الآية «استفهام بمعنى النفي المقرر، أي: لا أحد أحسن قولاً -أي: كلاماً، وطريقة، وحالة- ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين، والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها»(٢).

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: «فتح القدير» (١/ ١٤١)، و«تيسير الكريم الرحمن» (ص:٣٩).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٦٩٤).

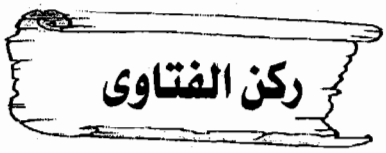

لجنة الفتوى
في
(مركز الإمام الألباني)

☐ **سؤال: معلوم أن كثيراً من الشركات تتعامل مع البنوك، فالمحاسب الذي يكتب معاملات الشركة مع البنك، وفي بعض الأحيان يضطر إلى الذهاب إليه شخصياً لتسوية بعض المعاملات، وكذلك بالنسبة للخواصّ فنجد مثلاً الأخ الملتزم يضطر إلى التعامل مع زبائنه وبخاصة التابعة للقطاع العمومي بالشيك البنكي، وعليه؛ فإن وجوده في البنك شبهة في حقّه، وكذا العامل عند خبير محاسب، فإن هذا الأخير يمكن أن يرسل هذا العامل المحاسب إلى البنك لمعاملة يقوم بها تخص البنك نفسه، حتى كأنه يعمل فيه لكثرة ترداده عليه حتى تنتهي مهمته.**

السؤال: ما حكم هذا كله؟ وكيف المخرج منه؟

الجواب: يحرم على المسلم التعامُلُ بالربا أكلاً وإطعاماً وإشهاداً، والرضى به حرام -أيضاً-، ولا يتعامل مع البنوك الربوية إلا بضرورةٍ شرعيّة؛ وبقدْر وحذر، والقدْر يَختلف باختلاف حالات الناس، والحذر على حسب الورع والتقوى، وعلى المراسل أن يقدّر ذلك، والتوسع اليوم -يا للأسف- مع البنوك يدخلهم في دائرة المؤاخذة الشرعية.

والربا أبواب عديدة، وكثير من الناس لا يتورَّع عن الولوج في الربا الصريح -فضلا عما دونه-. نسأل الله العفو والعافية[1].

☐ ☐ ☐ ☐ ☐

(١) فتوى رقم: (٧٧/ف/٣٦) بتاريخ: (٢/٨/١٤٢٤هـ- الموافق: ٢٨/٩/٢٠٠٣م).

□ سؤال: معلومٌ أنّ صلة الرحم اليوم كثيراً ما تصاحبها معصية الله -عز وجل- إلا من رحم الله، فإمّا تقبيل، أو مصافحة، أو نظر إلى العورات، وبخاصة الأخيرة إن سَلِمَ الواصل من الأُولَيَيْن! فما العمل -جزاكم الله خيراً- مع استمرار الصِّلة مع بذل النصح لهن، ولأولياء أمورهن؟

الجواب: الواجب صلة الرحم مع غضِّ البصر، والأمر والنهي برفق ولين كلٌّ حسب قدرته وعلمه وبيانه.

مع التذكير بقول النبيِّ ﷺ: «بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام»[1].

□ □ □ □ □

□ سؤال: أضحية العيد، هل يجوز للأبناء الاشتراك فيها علماً أنهم يقطنون منزلاً واحداً كبيراً ذا طبقات، وسواءً كانوا شركاء في النفقة أم كانوا مستقلين، إذ قد نجد العائلة الكبيرة تتكون من عدّة عائلات؟

وهل كانت بيوت النبي ﷺ كلها في المسجد؟ أم متفرقة؟ علماً أنه ﷺ ثبت أنه ضحى بكبشين، وبكبش واحد، وكذا ببقرة في حجة الوداع.

والمقصود من الشطر الثاني في السؤال عمّا إذا كان نبيُّنا ﷺ غير مستطيع أن يضحي عن كل بيت في كل عام فكان يمتثل قول الله تبارك -وتعالى-: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

وهل يجب على الابن الأضحية إذا كان أبوه غير قادر على ذلك؟

الجواب: الأضحية واجبة على المستطيع -على أرجح قولي العلماء-، وعلى كل أهل بيت أضحية واحدة، والعبرة بالبيت الاشتراك في المدخل والمخرج والمطعم والمشرب، فوجود عدّة أبناء في عمارة

(١) فتوى رقم: (٧٩/ف/٣٨) بتاريخ: (١٤٢٤/٨/٢هـ- الموافق: ٢٠٠٣/٩/٢٨م).

كل له -منها- مدخله ومطعمه: فعلى كل ولد مستطيعٍ أضحيةٌ، وإن كان الأب غير مستطيع، والابن مستطيع فأضحيتُه عنه، وهي ساقطة عن الأب، إلا إذا كان يعيش معه فهما في حكم العائلة الواحدة، والسنُّ في الأضحية التفريق بين البياض والسَّواد؛ فالواجب عند الجمهور: هو ما بلغ أكثر أشهر السنة، أو بلغ سنة واحدة عند ابن حزم ، وما أتم السنة وشرع في الثانية أو أتم السنتين عند ابن حزم[1].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

❑ سؤال: هل يَجوز حمل شيء يتضمن ذكر الله عند دخول بيت الخلاء سواء كان ورقة، أم كتيباً للأذكار كـ«حصن المسلم» أو مصحفاً صغيرَ الحجم، وغيرهما مما يُحمل في الجيب؟

وهل كان رسول الله ﷺ ينزع خاتمه عند قضاء الحاجة علماً أنه كان مكتوباً عليه «محمد رسول الله»؟

الجواب: الحديث الذي فيه نزع خاتمه ﷺ الذي كُتب عليه ذكرٌ لله -عزّ وجل- عند الوضوء: لم يثبت و لم يصح، ومع ذلك لا يجوز للمسلم أن يدخل الخلاء ومعه شيء فيه ذكر الله، إلا إذا وقع ذلك بنسيان منه، والله أعلم[2].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) فتوى رقم: (٧٨/ف/٣٧) بتاريخ: (٢/٨/١٤٢٤هـ- الموافق: ٢٨/٩/٢٠٠٣م).

(٢) فتوى رقم: (٨٠/ف/٣٩) بتاريخ: (٢/٨/١٤٢٤هـ- الموافق: ٢٨/٩/٢٠٠٣م).

❐ رجل رزقه الله مالاً كثيراً فهل يجوز وضعه في البنك للمحافظة عليه -مع عدم التصرف في الربا المعطى له عليها-، وإنفاقه في سبيل الله؟

الجواب: لا يجوز التعامل مع البنوك، وقد لعن النبيُّ ﷺ آكل الربا وموكله؛ فالموكل هو المطعِم، وهو الذي يضع ماله في بنك ربويٍّ.

ويحرُمُ على المسلم إطعام الربا للبنك بنيّة التصرُّف والنفقة فيه.

وأمّا مَن تلبّس بشيءٍ من ذلك: فلا يجوز له إبقاءُ أي قدر من الأموالِ المعطاة له مِن قبل البنك -للبنك-؛ وإنّما يُنفقُها في المصارف العامّة، منبّهين إلى عدم جواز استفادته -هو- شخصياً -منها- ولو برفع مظلمة عنه-، وإلى أنّه -كذلك- ليس له أجرٌ خاصٌّ في ذاتِ هذا الفعل، مع رجاءِ أن يكون له أجرُ التّخلُّص مِن الحرام، وأجر ناقل الصدقة.

وفي البنوك اليوم صناديق أمانات تُستأجر من البنك على وجه لا يُخالف الشّرع، وما عدا ذلك - مِن الضروريّات- فالواجب أخذ الحذر -بالقدْر الضروري- في التعامل مع البنوك[1].

❐ ❐ ❐ ❐ ❐

❐ هل يجوز بيع السلعة لرجل أغلب ماله حرام؟

الجواب: يجوز بيع السلعة المُباحة على وجه شرعي لمن كان ماله حراماً؛ فالحكمُ الشرعي خطابُ الله المتعلق بأفعال المكلفين، فأحكام الشريعة تدور مع الأفعال لا الذوات، ولذا يجوز البيع والشراء من الكفار فيما هو مباحٌ في الشرع[2].

❐ ❐ ❐ ❐ ❐

(١) فتوى رقم: (٨١/ف/٤٠) بتاريخ: (٢/٨/١٤٢٤هـ- الموافق: ٢٨/٩/٢٠٠٣م).

(٢) فتوى رقم: (٨٢/ف/٤١) بتاريخ: (٢/٨/١٤٢٤هـ- الموافق: ٢٨/٩/٢٠٠٣م).

□ توفي رجل قبل عيد الأضحى بيوم أو يومين فهل يجوز لأهله أن يؤخروا ذبح الأضحية إلى اليوم الثالث أو إلى عاشوراء؟ وهل من السنّة ما يدل على ذلك؟

الجواب: لا يشرع ذبح الأضحية عن الميت، والأضحية لها وقت معلوم، يجب أن تؤدى في وقتها، وهي تجزئ عن أهل البيت الواحد -جميعاً-.

ولا يجوزُ تأخيرها إلى عاشوراء؛ لأنَّ لها وقتاً شرعياً معلوماً لا يتجاوز يومَ عيد الأضحى، وثلاثة أيام تليه -هي أيام التشريق-[1].

لجنة الفتوى

محمد بن موسى آل نصر — سليم بن عيد الهلالي

علي بن حسن الحلبي — مشهور بن حسن آل سلمان

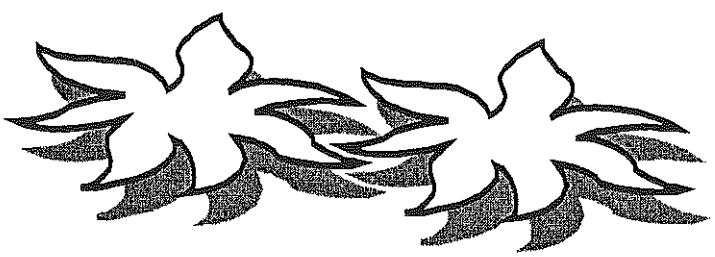

(١) فتوى رقم: (٨٣/ف/٤٢) بتاريخ: (١٤٢٤/٨/٢هـ- الموافق: ٢٠٠٣/٩/٢٨م).

سبيلُ الله . . .

بسينِ المسوتِ والحيساة

• بقلم: أسرة التحرير

تشرئبُّ أعناقُ المؤمنين الصالحين تطلُّعاً، واستشرافاً لغايةٍ عُظمى، وهَدَفٍ سامٍ؛ ألا وهو: الموتُ في سبيل الله -تعالى-؛ لِمَا وَرَدَ في فضلِه مِن نصوصٍ قرآنيَّةٍ عدَّة، وأحاديثَ نبويَّةٍ متعدِّدة . .

ولئِن كان طلبُ الموتِ في سبيل الله -تعالى- ثقيلاً على ذوي النفوس المريضةِ -فضلاً عن تزيين الشيطان، وتلبيسِه ومصايدِه- فإنَّ الرغبةَ فيه، والشوقَ إليهِ قد يدفعُ البعضَ إلى خوض غِمار ما قد يظنُّونَه من سبيلِ الله -تعالى-، وليس هو من سبيله -سبحانه-!

والتمييز بين هذا الثلاثيِّ المُتشابك قد يكونُ عسراً بعضَ الشيءِ على عامَّةِ الناس؛ لِمَا يتضمَّنه مِن تداخلِ الرغبة الشرعيَّة الصحيحة، بتلبيس الشيطان وشَرَكِه، بَلْهَ الجهلِ بالأحكام الشرعيَّة ومداركها المرعيَّة!

وقد يُزَيِّن الشيطانُ الرجيمُ -أكثرَ وأكثرَ- لبعضٍ من ذوي هذه الأصناف الثلاثة؛ لِيُسَرِّبَ على ألسنتِهم الطعنَ بالعلماء، أو طلبة العلم، أو الدعاة -بعضاً أو كُلًّا- بِحُجَّةِ أنَّهم قاعدون . . . ومُتراخون . . . ومتخاذلون!!!

وليست هذه التوهُّماتُ -في جُلِّها- حقائقَ أو مُسَلَّماتٍ؛ بل هي -في أكثرها- فراغٌ في فراغٍ!

هذا -كلُّه- على ما فيه- جانبٌ ...

أمَّا الجانبُ الآخَرُ؛ فهو جانبُ (الحياة في سبيل الله)؛ هذا الجانبُ الذي (قد) يرى فيه البعضُ شأناً سهلاً يسيراً، وأمراً خفيفاً ظريفاً؛ وإنْ كان الواقعُ خِلافَه؛ لِمَا تتضمَّنه الحياةُ الإيمانيَّةُ مِن واجباتٍ ومُتَطَلَّباتٍ وأحكامٍ: تلتقي تماماً، قولَ النبيِّ ﷺ: «خيرُكم من طال عمُرُهُ وحَسُنَ عملُه»، وقولَ الله -تعالى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ ...

وهذا ما عبَّر عنه بعضُ أئمّة هذا الزمان، وشيوخِه الأجلّةِ الكبار الأَعْيان -وهو أستاذُنا العلامةُ الشيخ عبدالعزيز ابن باز- رحمه الله- لمّا قال:

«الحياة في سبيل الله، أصعبُ مِن الموت في سبيلِه».

«وفي كُلٍّ خيرٌ» ...

... نسأل اللهَ العظيم -جلّ في عُلاه- أن يُحيينا حياةً طيِّبةً -بالحقّ-، وإلاّ أن يتوفّانا -في سبيله- بالحقّ.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾

«ونرى اليوم العربَ وسائرَ المسلمين يتخبّطون في ظلمات؛ لإعراضهم عن هذا النُّور! واتّخاذهم القرآن مهجوراً!! ولن يَخرجوا مِن ظلماتهم إلا بالرجوع إليه، والاستضاءة به، واتخاذه إماماً وحكماً، والتَّمسُّك بسنَّة الرّسول ﷺ، التي تُبيِّنُه وتَشرَحُه».

[«سبيل الرشاد» (٢/٢٧٤)]

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية وبحوث العلمية

قسيمة اشتراك

الاسم:.....

البلد:..... المدينة:..... الحي:.....الشارع:.....

رقم المنزل:..... الهاتف:..... الفاكس:.....

العنوان البريدي: .....

❑ اقتراحات أخرى: .....

.....

بالبريد المستعجل يرسل إلى المشترك كل من:

١- مجلة الأصالة ٢ - الإصدارات العلمية للمركز ٣- الإصدارات السمعية للمركز

قيمة الاشتراك السنوي:

- الأردن (٤٠) دينار - دول الخليج (١٥٠) دولار
- دول أوروبا (١٥٠) دولار - أمريكا (٢٠٠) دولار.

ترسل الحوالة إلى الحساب التالي مع إشعار إلى مركز الإمام الألباني:

- البنك الإسلامي الأردني – فرع طارق- الأردن.

رقم الحساب: ١١٢٥٩ - اسم الحساب: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي.

-Jordan Islamic Bank for Finance and Investment

Tareq/Tabarbour Branch , Amman ١١٩٤٧ Jordan

Bank Code : JIBAJOAMXXX

Account Number : ١١٢٥٩

Account Name : Salim Eid Mohammad Hilali & Moh 'D Mousa Hussein Naser

تلفاكس ـ مركز الإمام الألباني:٥٠٥٤٠٥٣ (٠٠٩٦٢ ٦).

Telefax : ٠٠٩٦٢٦٥٠٥٤٠٥٣ - www.albani-center.com - E-mail: albani١٤٢١@hotmail.com